الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت

جمع وتنسيق : عبد المعين الملوحي

دار الحضارة الجديدة
بيروت

المقدمــــة

عندما كنت في الصين وأصبت بجلطة في الدماغ وشلل في الشق الأيسر وأشرفت على الموت بدأت بقصيدتي في رثاء نفسي ومطلعها:

تمنيت يابنَ الريبِ لو بِتُّ ليلةً (بجنبِ الغضا تُزْجي القلاص النواجيا)
وأُمنيتي لو بتُّ في حمصَ ليلةً فأسبح في العاصي وألقي لداتيا

وبعد عودتي إلى دمشق منَّ الله عليَّ بالشفاء فأتممت القصيدة وتكرم الأخ الأستاذ مدحة عكاش، صاحب مجلة الثقافة، فنشرها على حسابه الخاص عام ١٩٨٤ .

وخلال سنوات مرضي، ثم شفائي بحمد الله زاد اهتمامي بالشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت، وبدأت أجمع أشعارهم المتناثرة في بطون كتب التراث العربي، وفي دواوينهم إن كانت لهم دواوين فتجمعت لدي قصائد غير قليلة لشعراء كان بعضهم مشهوراً، وكان بعضهم مغموراً فرغبت في جمع هذه القصائد في كتاب واحد، خدمة للتراث العربي وتيسيراً للقارىء العربي المهتم بتراث أجداده.

وصنفت هؤلاء الشعراء حسب تسلسلهم في الزمان، لا حسب قيمتهم أو قيمة قصائدهم. وبعد أن صنفت هؤلاء الشعراء أضفت إلى الكتاب قصائد ومقطوعات نظمها بعض الشعراء خلال حياتهم وهم يفكرون بمصيرهم، أو رثوا بها أصدقاءهم وكتبوها على قبورهم أو نظموها لتكتب على قبورهم بعد موتهم وجمعتها تحت عنوان (متفرقات) وخصصت كل شاعر منهم بكتابة اسمه قبل أبياته:

أما الشعراء الذين رثوا أنفسهم فهم حسب ترتيبهم الزمني:

١ - يزيد بن خذاق. (... - ...) ولم أستطع تحديد عصره وحياته.
٢ - بشر بن أبي خازم. (... نحو ٩٢ ق.هـ) (... نحو ٥٣٣ م).
٣ - طرفة بن العبد. (نحو ٨٦ - ٦٠ ق.هـ) (نحو ٥٣٨ - ٥٦٤ م).
٤ - صريم بن معشر (أفنون) (... نحو ٦٠ ق.هـ) (... نحو ٥٦٤ م).
٥ - عبد يغوث بن صلاءة (... - ٤٠ ق.هـ) (... - ٥٨٤ م).
٦ - قيس بن الحِدَادية (... - ...) (... - ...).
٧ - خبيب بن عدي. (... - ٤ هـ).
٨ - سحيم عبد بني الحسحاس. (... - نحو ٤٠ هـ) (... نحو ٦٦٠ م).
٩ - هدبة بن خشرم. (... - نحو ٥٠ هـ) (... - نحو ٦٧٠ م).
١٠ - مالك بن الريب. (... - نحو ٦٠ هـ) (... - ٦٨٠ م).
١١ - مرة بن محكان. (... - ٧٠ هـ) (... - ٦٩٠ م).
١٢ - جعفر بن علبة. (... - ١٢٥ هـ؟) (... - ٧٤٣ م؟).
١٣ - أبو نواس. (١٤٦ - ١٩٨ هـ) (٧٦٣ - ٨١٤ م).
١٤ - تميم بن جميل السدوسي (... - حوالي ٢٤٠ هـ) (... حوالي ٨٥٣ م).
١٥ - الحلاج. (... - ٣٠٩ هـ) (... - ٩٢٢ م).
١٦ - الطغرائي. (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) (١٠٦٣ - ١١٢٠ م).

رأي :

تعتبر هذه القصائد من روائع الشعر العربي، وأصدقه لهجة، وأعمقه شعوراً وأحاسيس، وحسبك أن هؤلاء الشعراء نظموا قصائدهم قبيل موتهم، وهم غرباء عن أوطانهم وأحبابهم أو هم يساقون إلى القتل بالسيف، أو الصلب على الأعواد.

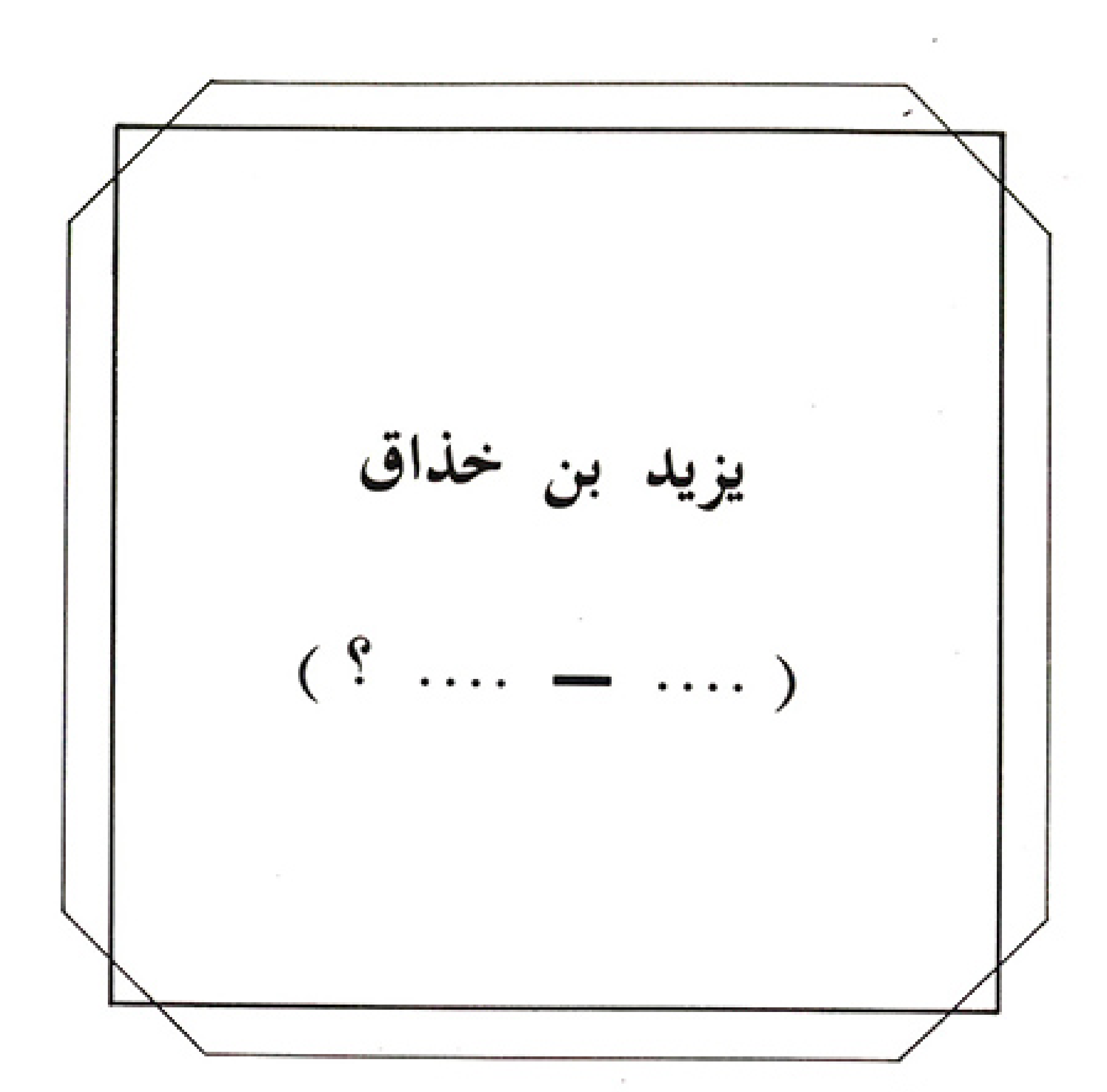
ويلاحظ القارىء أنني لم أدرس هذه القصائد العصماء، ولم أتدخل في الحكم

عليها، وذلك لأترك له حريته وحقه في هذا الحكم، وفي الإعجاب بعواطفها الجياشة وبتصويرها الدقيق للساعات أو الدقائق التي تفصل بين الحياة والموت، وربما امتدت إلى تصوير ما بعد الموت.

وأعتقد ـ دون مبالغة أو تزيد ـ أن مثلِ هذه القصائد قل أن نجد لها نظيراً في الشعر العالمي كله، وأنها مدعاة لفخر الأمة العربية بشعرها الراقي رغم ما حل بأصحابها ـ وياللأسف ـ من أهوال الموت والقتل والصلب.

دمشق ١٩٨٨/١١/٢٣ .

عبد المعين الملوحي



يزيد بن خذاق

(.... — .... ؟)

المصادر

١ ــ الأوائل ٢ : ٢٢٦ ــ ٢٢٧

٢ ــ عيون الأخبار ٢ : ٣٠٨

٣ ــ الشعر والشعراء ٣٤٥ ــ ٣٤٧

٤ ــ طبقات الشعراء ٢٧٥ ــ ٢٧٧

٥ ــ الجمهرة ١٤٢

٦ ــ معجم الشعراء ٤٨١

٧ ــ السمط ٧١٣

٨ ــ العقد الفريد ٣ : ١٧٦ ...

٩ ــ المفضليات ١٢٧٧ ...

١٠ ــ الأعلام ٩ : ٢٣٤

اسمه ونسبه

لا نعرف إلا أنه يزيد بن خذاق الشني، ثم العبدي وجاء في الشعر والشعراء أن له أخا يدعى سويداً قال :

هما سويد ويزيد ابنا خذاق من عبدالقيس

بل إن اسم أبيه دَخَله التصحيف فروي أنه (حذاق) بالحاء المهملة . (السمط) وقيل إنه يزيد بن نهار وهو ابن أخت المثقب العبدي : شاعر جاهلي عاصر النعمان، ملك الحيرة وذكره ابن سلام مع فصحاء شعراء البحرين .

ثم لا نعرف أكثر من ذلك .

القصيدة

اختلف العلماء في نسبة هذه القصيدة وأكثرهم ينسبها ليزيد بن خذاق، وجاء في المفضليات، ويروى للممزق العبدي، وكذا قال ثعلب، وهي له في الجمهرة . أما في عيون الأخبار والشعر والشعراء والأوائل للعسكري فهي ليزيد . وأشار ابن سلام إلى اختلاف نسبة القصيدة .

وليزيد أشعار أخرى متفرقة في كتب الأدب، لا مجال لذكرها في هذا الكتاب وقد عد العسكري في كتابه الأوائل (٢ : ٢٢٦ ــ ٢٢٧) يزيد بن خذاق أول من رثى نفسه، وأول شعر قيل في ذم الدنيا، وكذلك روي عن أبي عمرو ابن العلاء وعن الأصمعي .

وها هي ذي القصيدة مع الإشارة في الحاشية إلى بعض الاختلافات اليسيرة في روايتها :

(١) هَلْ للفتى من بناتِ الدهرِ منْ راقي أمْ هَلْ له من حِمامِ الموتِ مِنْ واقي

(١) روي من بنات الدهر من واقي، ومن حمام الموت من راقي بتبادل راقي وواقي وفضلنا رواية ما ذكرنا .

(٢) كَأنَّني قَدْ رَماني الدهرُ من عُرُضٍ بنافــذاتٍ بــلاريشٍ وأفــواقِ
(٣) إذْ غَمّضوُني وما غُمِّضْتُ من وَسَنٍ وقــالَ قائلُهُــم أودىٰ ابــنُ خَــذّاقِ

(٤) ورَجَّلُوني وما بالشعرِ مِنْ شَعَثٍ وألْــبَسوني ثيابــاً غيــرَ أخــلاقِ
(٥) ورَفَّعُوني وقالُوا : إيّما رجــلٍ وأدْرَجُــوني كأنّــي طــيُّ مِخــراقِ
(٦) وأرسلوا فتيةً مــن خيرِهــم نَسَباً لَيُسنــدوا في ضريــحِ القبــرِ أطْبــاقي
(٧) وقَسَّمُوا المالَ وارْفَضتْ عوائدُهم وقــالَ قائلُهــم : مــاتَ ابُــن خَــذاقِ
(٨) هَوِّنْ عليكَ ولا تُولَعُ بإشفاقِ فإنَّمــا مالُنــا للواحــدِ البــاقي

ملاحظتان :

١ ـــ الملاحظة الأولى : لا نجد فيمن رثى نفسه قبل الموت هذه التفاصيل الدقيقة لما بعد الموت . التي يذكرها يزيد في قصيدته .

٢ ـــ الملاحظة الثانية : فإنما مالنا للواحد الباقي يدل على عقيدة بعض أهل الجاهلية في توحيد الله وبقائه .

❦❦❦

---

(٢) ورد البيت في المفصليات ١٢٧٧ . النافذات : السهام النافذة . أفواق :ج فوق وهو موضع الوتر من السهم .
(٣) البيت زائد في المفصليات أيضاً . والوسن : النوم .
(٤) وروي : وما رجلت من شعث : رَجَّل تسريح الشعر. غير أخلاق : جديدة غير بالية
(٥) وروي : وغمضوني .. طي مخراق : عني به العمامة التي يلهو بها الأطفال بضرب بعضهم بعضا .
(٦) وروي : حسباً بدل نسباً. وجاء في حاشية طبقات الشعراء : يعني أنزلوهم في شق القبر لكي يتلقوا جثمانه، وقوله : من خيرهم حسباً : ليس على سبيل الفخر بل هي الحسرة والسخرية . الأطباق : جمع طبق : المفاصل والأعضاء .
(٧) العوائد : النسوة اللواتي يزرن المريض . يلاحظ تكرار الشطر الثاني في البيت الثالث والسابع ولعله تكرار لإظهار اللوعة والحسرة عند الموت، أو لعله رواية أخرى .
(٨) الاشفاق : التخوف والحرص . وروي الوارث بدل الواحد .

بشـــر بـــن أبـي خـــازم

(... ـ نحو ٩٢ ق . هـ)
(... ـ نحو ٥٣٣ م)

المصـــادر

١ ــ الديوان : تحقيق د. عزة حسن طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٠

٢ ــ الحيوان ٦ : ٢٧٥ ...

٣ ــ طبقات فحول الشعراء ٩٧ ...

٤ ــ الشعر والشعراء ٢٢٧

٥ ــ الكامل للمبرد ١٩٩

٦ ــ المغتالون ٢١٤

٧ ــ ثمار القلوب ٩١

٨ ــ مختارات ابن الشجري ٢ : ١٩

٩ ــ الكامل لأبن الأثير ١ : ٢٩٩

١٠ ــ شرح المفضليات ١٤٦ ...

١١ ــ خزانة الأدب ٢ : ٢٦٢

١٢ ــ معجم البلدان (ترج)

١٣ ــ الكتب التي تتحدث عن أيام العرب، وهي كثيرة .

نســبه :

هو بشر بن أبي خازم، وأبو خازم اسمه عمرو، وبشر شاعر جاهلي من بني أسد ... وبنو أسد فيهم شعراء كبار، أشهرهم في الجاهلية عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم .

عصــره :

أغلب الظن أنه عاش في النصف الثاني من القرن السادس من الميلاد، وبقي حياً إلى زمن قريب من ظهور الإسلام، وعاصر حاتم الطائي .

أخبــاره :

شهد بشر يومي النسار والجفار بين بني أسد وأحلافها وبين بني عامر وأحلافها ثم بين بني تميم وبني أسد .

بشر وأوس بن حارثة :

تشغل علاقة بشر بأوس بن حارثة جزءاً كبيراً من ديوانه، فقد هجاه ثم مدحه، وقد ذكرت المصادر هذه العلاقة فقالت :

دعا النعمان بن المنذر، ملك الحيرة بحلة، وعنده وفود العرب من كل حي فقال :

ــ احضروا في غد فإني ملبس هذه الحلة أكرمكم .

فحضر القوم جميعاً إلا أوس بن حارثة فإنه تخلف، فقيل له : لم تخلفت ؟

فقــال :

ــ إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء ألا أكون حاضراً، وإن كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكاني .

فلما جلس النعمان في مجلسه لم ير أوساً بين القوم فقال :

ــ إذهبوا إلى أوس، فقولوا له : احضر آمناً مما خفت .

فحضر أوس إلى المجلس وألبس الحلة فحسده قوم من أهله . فقال للحطيئة : اهجه ولك ثلاثمائة ناقة

فقال الحطيئة : كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلا من عنده ... ثم قال :

كيفَ الهجاءُ وما تنفكُّ صالحةٌ من آلِ لأمٍ بظهرِ الغيبِ تَأتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم : أنا أهجوه لكم

فأخذ الأبل وهجا أوس بن حارثة ..، وأفحش في هجائه ... فغضب أوس لذلك ونذر لئن ظفر به ليحرقنه ...

ووقع بشر أسيراً في إحدى معاركه فاشتراه أوس بن حارثة من آسريه فلما حصل بين يديه جاء به وأوقد ناراً ليحرقه فلامت أم أوس أوساً على فعلته وقالت له فيما قالت :

— .... أزعمت أنك تحرق رجلاً هجاك، إذن فمن يمحو ما قال فيك ؟ وأيم الله لو فعلت ما استقلتها أنت ولا قومك أبداً . فقال لها أوس :

— فما أصنع به؟ قالت :

— أرى أن ترد إليه ماله وتعفو عنه وتحبوه وتكرمه وأفعل أنا مثل ذلك فإنه لا يغسل عنك ما صنع غيره .

فاحتبس أوس بن حارثة بشراً عنده وواساه، وكتمه ما يريد أن يصنع به . وقال له : ابعث إلى قومك يفدونك، فإنني اشتريتك بمائتي بعير، فأرسل بشر إلى قومه فهيئوا له الفداء . وبادر أوس، فأحسن إليه، وكساه اليمنة — الثوب من اليمن — وغيرها وحمله على نجيبه الذي كان يركب، وسار معه حتى بلغ أداني غطفان فقال بشر لأوس :

— لا جرم والله، لا مدحت أحداً حتى أموت غيرك .
وصدق بشر فقد مدح أوساً وأكثر من مديحه

مقتل بشر

كان بشر بن أبي خازم فارساً شجاعاً، وكان يخوض ساحات القتال مع فرسان قومه ويقود الغزوات ويشن الغارات .. وقد قتل في إحدى غاراته، وذلك إن بشراً أغار في مقنب من قومه على الأبناء من بني صعصعة ابن معاوية، فلما جالت الخيل بموضع يقال له الرَّده .. مر بشر بغلام من بني وائلة من الأبناء، وهو عمرو (أو عبس) بن حذار، ويكنى أبا أبي ... وكان شجاعاً فقال بشر للغلام : أعط بيدك (استسلم) يريد أن يأسره فقال له الغلام الوائلي : لتنتحين أو لأشعرنك سهماً من كنانتي، فأبى بشر إلا أسره، فرماه الوائلي بسهم على ثندوته[1]، فاعتنق بشر فرسه وهو جريح وأخذ الغلام فأوثقه .

فلما كان الليل أيقن بشر أنه ميت، فأطلق الغلام الوائلي من وثاقه، في بعض الطريق، وخلى سبيله، وقال له :

ــ أعلم قومك أنك قتلت بشراً ...

ثم اجتمع أصحاب بشر إليه فقالوا له : أوص فقال قصيدة يرثي بها نفسه

شعــره :

عد ابن سلام بشر بن أبي خازم (الطبقات : ٩٧) في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية بعد أوس بن حجر .

وأعجب أبوعمرو بن العلاء بقصيدة بشر التي مطلعها :

أحــق مـــا رأيت أم احتــلام   أم الأهــوال إذ صحبي نيـــام

وقال : « ليس للعرب قصيدة على هذا الروي أجود منها، وهي التي ألحقت بشراً بالفحول » [2]

وسئل الفرزدق وجرير : من أشعر الناس، فاتفقا على بشر بن أبي خازم أما ابن قتيبة فعاب على بشر اقواءه في شعره وقال :

---

(١) الثندوة : اللحم الذي حول الثدي ــ يريد أنه أصاب قلبه

(٢) شرح المفصليات : ١٤٦ ...

(قال أبوعمرو بن العلاء : فحلان من فحول الجاهلية كانا يقويان : بشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني[٣])

ويطعن الجاحظ ويشك في صحة كثير منه قال :

(وقد طعنت الرواة في هذا الشعر الذي أضفتموه إلى بشر بن أبي خازم[٤])

قصيدة بشر

في رثاء نفسه

قال بشر بن أبي خازم يرثي نفسه(*) :

(١) أسائلــةُ عــميرةُ عَــنْ أبيها — خــلالَ الجيشِ تَعْتَــرف الرِّكابــا

(٢) تُؤَمِّــلُ أن أؤوبَ لها بنَــهْبٍ — ولَــمْ تعلمْ بــأنَّ السهــمَ صابــا

(٣) فَــإنَّ أباك قــد لاقــى غلامــاً — مــن الأبنــاء يَلْتَــهبُ التْهابــاً

(٤) وإن الوائلــيَّ أصابَ قلبــي — بسهــمٍ لم يكُــنْ يــكسىٰ لُغابــا

(٥) فَرَجّي الخيرَ وانْتظِــري إيابي — إذا مــا القــارظُ العنَــزيُّ آبــا

(٦) فمنْ يكُ سائلاً عن بيتِ بشرٍ — فــإنَّ لــه بجنب الــرَّدْه بابــا

(٧) ثــوىٰ في مُلْحَــد لا بُــدَّ منــه — كفــىٰ بــالموتِ نَأْيــا واغترابــا

(٨) رهيــنَ بلى، وكُــلُّ فتى سبيلىٰ — فَــأذْري الدمــعَ وانتحِبــي انتحابــا

(٩) مضىٰ قصدَ السبيلِ، وكُلُّ حَيّ — إذا يُدْعــىٰ لميتتــه أجابــا

(١٠) فإنْ أهلِكْ عميرُ فَرُبَّ زحفٍ — يشَبّــهُ نقعُــه رهــواً ضَبابــا

---

(٣) الشعر والشعراء : ٢٢٧.

(٤) الحيوان : ٦ : ٢٧٩ ...

(*) الديوان : ٢٤ ــ ٣٠ وهو يخاطب في قصيدته ابنته عميرة .

(١) تعترف : تسأل القوم

(٢) صاب : أصاب

(٤) اللغاب : الريش .

(٥) القارظ العنزي : مثل يضرب العرب للحعقود الذي لا يرجع والقارظ : الذي يجني القرظ والعنزي : رجل من بني عنزة .

(٦) الرّده : مكان في بلاد قيس دفن فيه بشر أو باب البيت هنا : القبر

(١٠) النقع : غبار الحرب . رهواً : مرتفعاً

(١١) سموتُ لـه لألبسَه بزحـفٍ   كما لَـفّت شآميـةُ سَحابا

(١٢) على رَبذ قَوائمُـهُ إذا ما   شَأَتْه الخيلُ يَنْسَرُبُ انسرابا

(١٣) شديد الأَسْر يَحملُ أَرْيَحِيًا   أخا ثقة إذا الحَدثانُ نابا

(١٤) صبور عندَ مُخْتَلَفِ العوَالي   إذا ما الحربُ أبرزتِ الكعابا

(١٥) وطالَ تشاجُر الأبطالِ فيها   وأبدَتْ ناجذاً منها ونابا

(١٦) فَعَزَّ عليَّ أن عَجلَ المنايا   ولما أَلْقَ كعباً أوْ كلابا

(١٧) ولما ألق خيلاً مِن نمير   تُصب لثاتِها ترجُو النهابا

(١٨) ولما تلتبسْ خيلٌ بخيلٍ   فَيَطَّعِنوا ويَضْطربوا اضْطرابا

(١٩) فيا لَلناس إنّ قناةَ قومي   أبتْ بثقافِها إلا انقلابا

(٢٠) هُمو جَدَعُوا الأنوفَ فأَوْعَبوها   وهُمْ تركوا بني سعدٍ يَبابا

---

(١١) سموت له لألبسه : نهضت به لأخلطه : الشآمية : الريح الشمالية .

(١٢) ربذ قوائمه : الفرس : الخفيف القوائم في السير شأته الخيل : سبقته .

(١٣) الأسر : الخلق .

(١٤) الكعاب : الفتاة التي نهد ثوبها، ويشير إلى شدة الحرب التي تدعو النساء إلى البروز .

(١٥) الناجذ : الضرس .

(١٧) تصب لثاتها : يتحلب ريقها طمعاً في الغنيمة .

(١٨) تلتبس : تختلط (١٩) الثقاف : تسوية الرماح .

(٢٠) أوعبوها : استأصلوها . اليباب : الخراب .

ملاحظة ١ :

يلاحظ في قصيدة بشر في رثاء نفسه أن أكثرها في الفخر بقومه وأقلها في الحديث عن ابنته ومصيره، فكأن موته لم يشغله عن قومه، فهل أصاب الجاحظ حين قال : إنها مصنوعة (الحيوان ٦ : ٢٧٩)

ملاحظة ٢ :

أكثر ما أوردته في هذا البحث مقتبس من مقدمة الديوان في اختصار، أما القصيدة فكلها من الديوان .

***

طرفة بن العبد

(نحو ٨٦ ـــ ٦٠ ق . هـ)
(نحو ٥٣٨ ـــ ٥٦٤ م)

بعض مصادره

١ ــ الديوان (شرح الأعلم الشنتمري)
٢ ــ طبقات الشعراء ١٣٧ ــ ١٣٨
٣ ــ الشعر والشعراء ١٣٧
٤ ــ المحبر ٢٥٨
٥ ــ الآمدي ١٤٦
٦ ــ الزوزني ٢٨
٧ ــ سمط اللآلىء ٣١٩
٨ ــ خزانة البغدادي ١ : ٤١٤ ــ ٤١٧
٩ ــ شرح شواهد المغني ٢٩٦/٢٧٢
١٠ ــ شعراء النصرانية ١ : ٢٩٨

نسبه :

هو أبوعمرو طرفة بن العبد ... من بني بكر بن وائل .

حياته :

مات أبوه وهو صغير فأبى أعمامه أن يقسموا ماله وظلموا حق أمهم، وكان اسمها وردة فقال :

مـا تنظـرونَ بحَـقّ وردةَ فيكُـمُ صَغُر البنـونَ، ورهـطُ وردةَ غُـيَّبُ
قـد يبـعثُ الأمـرَ العَظيـمَ صغيـرُه حتـى تظـلَّ لـه الدمـاءُ تَصَبَّب

وكان طرفة في أول أمره منصباً على اللهو، يعاقر الخمرة، وينفق عليها ماله، وكان في حسب من قومه جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم ...، وكانت أخته عند عبدعمرو بن بشر بن مرثد، وكان عبدعمرو سيد أهل زمانه، وكان ابن عم طرفة، وكان سميناً بادناً، وكان طرفة عدواً له ـــ كما في الخزانة ـــ فشكت أخت طرفة شيئاً من أمر زوجها إليه فقال :

ولا عـيب فيـه غير أن لـه غنـى وأن لـه كشحاً إذا قـام أهضمـا
وأن نساء الحي يعكفـن حولـه **يقلن** : عسيب مـن سرارة ملهمـا

فبلغ عمرو بن هند الشعر، فخرج يتصيد، ومعه عبدعمرو، فأصاب حماراً فعقره وقال لعبدعمرو : انزل إليه، فنزل إليه فأعياه، فضحك عمرو بن هند وقال : لقد أبصرك طرفة حين قال «ولا عيب» البيت، وكان عمرو بن هند شريراً، وكان طرفة قال قبل ذلك :

ولـيت لنـا مكـان الملك عمـرو رغوثـاً حـول قبتنـا تخور

فقال عبدعمرو : أبيت اللعن، الذي قال فيك أشد مما قال في . قال : وقد بلغ من أمره هذا ؟

قال : نعم فأنشده القصيدة إلى آخرها فقال : لا أصدقك عليه، لما بينك وبينه واحتملها في قلبه على طرفة .

المتلمس وطرفة

كان المتلمس ينادم عمرو بن هند، ملك الحيرة، هو وطرفة بن العبد فهجواه فلما كان بعد ذلك بيسير قال لهما : اظنكما قد اشتقما أهلكما فهل لكما أن أكتب لكما إلى عامل البحرين بصلة وجائزة؟ قالا : نعم فكتب لهما إلى عامله في البحرين كتابين، أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز، وكتب إليه يأمره بقتلهما، فخرجا حتى إذا كانا بالنجف، طلع عليهما غلام من أهل الحيرة، فقال له المتلمس وأحس بالشر : اتقرأ يا غلام؟ قال : نعم، ففك صحيفته ودفعها إليه، فإذا فيها : أما بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا. فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك يقرؤها، ففيها، والله ما في صحيفتي فقال طرفة : كلا، لم يكن يجترىء علي، فقذف المتلمس بصحيفته في نهر الحيرة.... وأخذ طرفة نحو البحرين فحبسه عامل عمرو بن هند في البحرين ثم قتله .

فلسفة طرفة العملية في الحياة .

يحدد طرفة فلسفته في الحياة فيراها في ثلاثة أمور، الخمر والحرب والمرأة، فهو يقول :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشةِ الفتىٰ وجَدِّكَ لم أحْفلْ متىٰ قامَ عُوَّدي
فمنهنَّ سَبقي العاذلاتِ بشَربه كميتٍ متىٰ ما تعلَ بالماءِ تزيد
وكَرّي، إذا نادىٰ المضافُ مُحَنَّباً كَسيدِ الغضا، نبهتَه، اَلمُتَوَرِّدِ
وتقصير يوم الدجن، والدجن معجب ببهكنة طي الخباء المُعَمَّد(١)

ويعلق ابن قتيبة على أبيات طرفة فيقول : أخذه عبدالله بن نهيك بن إساف الأنصاري فقال :

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من عيشةِ الفتى وجَدِّكَ لم أجْفِلْ متى قامَ رامسُ
فمنهنَّ سبقي العاذلات بشربةٍ كأنَّ أخاها مطلع الشمس ناعسُ

---

(١) كري : عطفي. المضاف : المقاتل الذي أحاط به أعداؤه فهو يستنجد. السيد : الذئب. الغضا : شجر. المتورد : الذي يطلب الماء ليرده.
البهكنة: المرأة. الخنب : الفرس

ومنهنَّ تجريدُ الكواعب كالُّدمى إذا ابتُزَّ من أكفالهن الملابسُ
ومنهنّ تقريطُ الجوادِ عنانَه إذا استبق الشخصَ الخفيَّ الفوارسُ

شعره :

عد ابن سلام الجمحي طرفة بن العبد في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية وقال : وهم أربعة رهط وعددهم ومنهم طرفة ثم استدرك فقال :
فحول شعراء، موضعهم من الأوائل وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة، (ص ١٣٧) وخص طرفة بقوله : (ص ١٣٨)

أما طرفة فهو أشعر الناس واحدة، وهي قوله :
لخولة أطلال ببرقة ثهمدِ وقفتُ بها أبكي وأبكي إلى الغدِ

وتليها أخرى مثلها :
أصحوت اليومَ أمْ شاقَتْكَ هرّ ومِنَ الحُبّ جُنونُ مُسْتَقِر[1]

وترجم ابن قتيبة في الشعر والشعراء شاعرنا طرفة (ص ١٣٧) وقال : (هو أجودهم طويلة)

لقد كان طرفة قبساً من نور لم يكد يشتعل حتى أطفأته ريح الموت. وما ندري ما كان يمكن أن يكون لو أنسيء في أجله .

---

(١) مستقر رواية ابن سلام ورواية الديوان مستعر .

طرفة يرثي نفسه
في
قصيدته الضادية

رثى طرفة نفسه في سجنه قبل مقتله بقصيدته الضادية التي مطلعها :

ألا اعتزِلِيني اليـومَ خولـةُ أو غضِّي فقـد نَزَلَتْ حدبـاءُ مُحْكَمَـةُ الـعَضّ

وقد اختلف العلماء في صحتها أو على الأقل في صحة كثير من أبياتها، ويلخص د. أحمد مختار البزرة في كتابه (الأسر والسجن في شعر العرب) هذا الموضوع (ص ٤٣٨ ــ ٤٤٠) فيقول :

(ومن هؤلاء الفحول ــ من الشعراء ــ طرفة بن العبد، ولا أقصد إلى تمييز صحيح شعره من منحوله، وهو مطلب تحاماه الرواة والنقاد القدماء. ولكن يقتصر على ما نظمه في السجن. وموطن الشك هو قصيدته الضادية، وهي كبرى قصائده في حبسه، وعدتها ثمانية وخمسون بيتاً، وهي بتمامها في ديوانه الذي أخرجه ماكس سلفسرت في فرنسا في أول سنة من القرن العشرين[١].....

والقصيدة الضادية من القطعة المضافة إلى الديوان، وهي الأصل الوحيد الذي جاء فيه القصيدة كاملة في شكلها الأخير، وهي لا تشير إلى أصل مشرقي، غير أن أصولها المشرقية متوفرة على حال من التشتت والاضطراب، وقد تفرقت بعض أبياتها في كتب اللغة والأدب والبلدان. مما يبعث الاطمئنان إلى بعضها على الأقل، والحق أن الرواة الثقات عرفوها، فكان لهم نحوها تحفظ كثير وقد ذكر أبوعمرو بن العلاء أن المفضل الضبي الكوفي كان ينكرها وأن الأصمعي البصري لم يثبتها في شعر طرفة، فاتفق رأسا مدرستي الكوفة والبصرة في الرواية على تضعيف هذه القصيدة، ولذلك أحجم الأعلم الشنتمري عن إثبات القصيدة في ديوان الشاعر، وفي الجانب الآخر كان الجاحظ يراها من الشعر الجيد[٢] وروى أبوعبيدة

---

(١) ونشر مجمع اللغة العربية في دمشق ديوان طرفة بشرح الأعلم الشنتمري وبتحقيق الأستاذين : درية الخطيب ولطفي الصقال، وذلك عام ١٩٧٥ م

معمر بن المثنى القصيدة، وتدل روايته على أن عالماً كبيراً على الأقل جعل القصيدة في عداد شعر طرفة .

وأورد أحمد بن أمين الشنقيطي القصيدة برواية أبي عبيدة فكانت عدتها ثلاثة وعشرين بيتاً من النسخة المضافة إلى الديوان، وهو فرق كبير، ولا شك أن رواية هذه القصيدة في القرن الثاني الهجري كانت تختلف ترتيباً وعدد أبيات بين راو وآخر، وهذا التفاوت حمل المفضل والأصمعي على إنكارها، وهو إنكار ينصب على عدتها لا على أصل حقيقتها، ولم يشأ أي منهما النظر في صحيحها ومنحولها فأعرض عنها، ويتراءى أن ما أحجم عنه الضبي والأصمعي أقدم عليه أبوعبيدة، فتنخل منها حسب مقاييسه النقدية ثلاثة وعشرين بيتاً، والأرجح أنه انتهى إلى صواب كثير، فلو عرضت القصيدة في أبياتها الثمانية والخمسين لوجد في كثير منها لين ظاهر وإسفاف وجفاف رونق مما لا يوافق ما عرف به شعر طرفة من فخامة وشدة أسر، ولكن بعضها شديد الصلة بروحه وأسلوبه لو تنخل منها عشرون ونيف مواقعة لاختيار أبي عبيدة .) ٥١ .

ومع هذا الشك المعقول والنقد الموضوعي فقد آثرت إيراد القصيدة كلها كما نشرت في ديوان طرفة بن العبد شرح الأعلم الشنتمري بتحقيق الأستاذين : درية الخطيب ولطفي الصقال في مطبوعات مجمع اللغة العربية، تاركاً للقارىء اللبيب الحكم على ما يراه منحولاً أو غير منحول. والقصيدة فيه تقع في ٦٠ بيتاً مجتمعة من عدة نسخ .

القصيدة الضادية

قال طرفة بن العبد وهو في سجنه ينتظر القتل(*) :

(١) ألا اعتزليني اليومَ خَولَةُ أو غُضّي فقدْ نَزِلَتْ حَدْبـاءُ محكمـةُ الـعَضّ

---

(٢) قال الجاحظ : ليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبديغوث، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية «البيان والتبين» : ٢ : ٣٠١ والحيوان : ٧ : ١٥٧

(*) التخريج : ديوان طرفة ص ١٦٨ .

(١) في الهامش .. جاء في نسخة قازان أن طرفة قالها. لعمرو بن هند، وللعبدي الذي أتاه بالكتاب في صحيفته، وكان العبدي حين سجنه للقتل، بعث إليه بجارية يقال لها خولة، فأبى أن يقبلها، وفي ط «حرباء معضلة العض»

(٢) أزالتْ فؤادي عَنْ مَقَرّ مكانهِ وأضحى جناحي اليومَ ليسَ بذي نَهْض

(٣) وقد كنتُ جَلْداً في الحياةِ مُدَرِئاً وقد كنتُ لَبَّاسَ الرجال على البُغْض

(٤) وإني لَحلوُ للخليلِ، وإنني لَمُرٌّ لذي الأضغان أبْدي لَهُ بُغضي

(٥) وإني لأستغني فما أُبطَر الغِنى وأبذُل ميسوري لمنْ يبتغِي قَرضي

(٦) وأُعسِرُ أحياناً فتَشْتَدُّ عُسرَتي وأدركُ ميسوَر الغنى ومعي عرضي

(٧) واستنقذُ المَولى من الأمرَ، بعدما يَزِلُّ كما زَلَّ البعيرُ عَن الدَّحْض

(٨) وأمنَحُهُ مالي وعِرْضي ونُصرتي وإن كان مَحْنيَّ الضلوع على بغض

(٩) ويغمرُه حلْمي ، ولو شئتُ نالَه عواقبُ تَبري اللحَم من كلَم مضّ

(١٠) وما نالني ، حتى تَجلَّتْ وأسْفَرتْ أخوئقةٍ فيها بقَرْضٍ ولا فَرْضِ

(١١) ولكنهُ سيبُ الالٰهِ وحرفَتي وسدُّ حيازيم المِطيَّةِ بالغَرْضِ

(١٢) لأكرمَ نفسي أن أرى مُتَخَشّعاً لذي مِنَّة يعطي القليلَ على الرَّحْضِ

(١٣) أكُفُّ الأذى عنْ أسَرتي مُتَكَرِّماً على أنني أُجزي المقارض بالقَرْضِ

(١٤) وأبذُل معروفي وتصفو خليقتي إذا كَدَرتْ أخلاقُ كُلِّ فتى محضِ

(١٥) وأمضي أموري بالزِّماعِ لوجهها إذا ما أمورٌ لم يكَدْ بعضُها يمضي

(١٦) وأقضي على نفسي إذا الْحَقُّ نابني وفي الناس من يُقضىٰ عليه ولا يقضي

(١٧) وإنّي لذو حلم ، على أن سَوْرَتي إذا هَزَّني قَومٌ حميتُ بها عِرضي

(١٨) وإن طلبوا وُدّي عطفت عليهمُ ولا خير فيمن لا يَعودُ إلى خَفْضِ

(١٩) ومعترض في الحَقّ غَيّرتُ قولَه وقلتُ له: ليسَ القضاءُ كما تَقْضي

(٢٠) ركبتُ به الأهوالَ حتى تركتُه بمنزِلِ ضنك مايَكُدُّ ولا يمْضي

(٢١) ولستُ بذي لَوْنَينِ فيمنَ عرفتُه ولا البخلُ، فاْعلَمْ مِنْ سَمائي ولا أرضي

(٢٢) قد اْمضيتُ هذا مِنْ وصيةِ عَبْدَلٍ ومثل الذي أُوصىٰ به عَبْدلٌ أُمضي

(٢٣) إذا متُّ فاْبكيني بما أنا أهلُهُ وحُضّي عليَّ الباكياتِ مَدىٰ الحَضّ

(٢٤) ولا تعْدليني إن هلكتُ بعاجز منَ الناس، منقوض المريرِة والنقض

---

(١٢) الرحض : الجهد الكبير، أي يعطي القليل بعد الحاح شديد .

(٢١) في هامش الديوان : زاد التبريزي — كما في هامش المرزوقي البيت التالي بعده :

وإني لَسهل ما تغير شيمتي صروف ليالي الدهر بالفتل والنقض

(٢٤) منقوض المريرة : ينفض الناس ما أبرمه .

(٢٥) حلفتُ بربّ الراقصاتِ إلى مِنى يباريـنَ أيـامَ المشاعـر والنّـهْضَ
(٢٦) لَئِنْ هبت أقواماً بدتْ لي ذُنوبهم مخافةَ رحب الصّدر ذي جدلٍ عِضَ
(٢٧) لَقد طالمَا هزوا قناتي وأَجْلَبُوا عَلـيَّ فمـا لانَتْ قَنـاتي عَلي الـعَضّ
(٢٨) وقدْ عَلِموا أني شَجٍ لعَدُوّهِـمْ وأني عَلى شحنائهم كُثْرَ ما أُغضي
(٢٩) ولكنني أحمي ذمارَ عشيرَتي ويدفعُ مَنْ رَكَّضْتُ دونَهم رَكضي
(٣٠) بمَشْهَد لا وانٍ ولا عاجزِ القُوى ولكن مُدلاً بخَيط الناسَ عَن عُرضِ
(٣١) أَبَعْدَ بَني ذَرى بن عَبْدَلَ إذْ غدا بهم من يُرَجّى لذة العيشِ بـالخفضِ
(٣٢) مضوْا وبقنا نأمُل العيش بعدهم ألاسار مَنْ يَبقى على اثرْ منُ يـمَضي
(٣٣) فحسبي من الداء الذي ليس بارحي وبعضُ هموم لمَ يكَدْ وجَدُها يُـفضي
(٣٤) ألم تَرَ أنَّ العين فاضتْ سجامُها من الدمعِ حَتّى لَمْ يكدْ جفنُها يُغضي
(٣٥) كأن مجاجَ السنبل الوَرث فيهما تـداعتْ بَـه الأرواحُ في وَرَق رَحْض
(٣٦) كما ينظر الـوُرّادُ خيلاً سريعةً مقيـدةً تنـدو إلى الحلْس والغـرضْ
(٣٧) خذوا حذرَكم أهلَ المشقر والصفا بني عَمّنا، والقرضُ نجزيه بالقَرْض
(٣٨) ألا أبلغا بَكْر العراق بن وائلٍ بكأس، سقى النصريُّ شاربَها رمْض
(٣٩) فإن يقتلِ النُّعمان قومي فـإنما هـي الميتـة الأولى وتقدمـةُ القـبض
(٤٠) فميلوا على النُّعمان، في الحرب مَيلةً وكعبُ بن زيد فاشغلوه عن المحْض
(٤١) هما أورَداني الموتَ عمداً وجَرَّدا على الموت خيلاً ما تَملُّ من الركضِ
(٤٢) رديتُ ونجّى اليشكريَّ حذارُه وحادَ كما حـادَ البعيرُ عنِ الـدّحْضِ
(٤٣) ولو خفتُ هذا الفتكَ في الدّين دافعتْ بنو مالكٍ حتى يَردوا الـذي يَقْضي
(٤٤) فياعجبـا للجـذع أرفـعُ فوقَـهُ وللصّلب حَظي من عُداة ومن قَرضي
(٤٥) وكنا على ذي مِرّةٍ وسطْ قومِنا ضُبَيعَة قدماً نضربُ الناس عنُ عُرْضِ
(٤٦) أبا منذرٍ أفنيتَ فاستبقِ بعضنـا حنانَيْكَ بعضُ الشرّ أهون من بـعضِ

---

(٢٥) الراقصات : الإبل تسرع في سيرها .

(٢٩) ركّضت : بتشديد الكاف .

(٣٥) السنبل : نبات جار. الورث : الطري. الرحض : البالي

(٣٩) النصري والنعمان : عمرو بن هند أبو منذر كأس رمض : محرقة .

(٤٢) اليشكري : المتلمس الذي رمى صحيفته .

(٤٧) أبا منذرٍ إن كنتَ قَدْرُمت حَربنا فَمَنْزُلنـا رحبُ مسافَتُـهُ ، مُـفْضي
(٤٨) أبا منـذرٍ مَـنْ للكمـاةِ نـزالها إذا الخيلُ جالَتْ في قنا، بينها رفضِ
(٤٩) أبا منذرٍ كانتْ غُروراً صحيفتي ولمْ أُعطكُمْ في الطوع مَالي ولا عِرضي
(٥٠) أبا منذرٍ مِنْ للأمور التي تُـرى على مِـرَّة تحدو الشرائـعَ بالنـقضِ
(٥١) أبا منـذرٍ رُمتَ الوفـاءَ فَهْبتَـه وحدتَ كما حادَ البعيرُ عـنِ الدّحض
(٥٢) ترى الناسَ أفواجاً إلى باب دارهِ ليعلـمَ حَـيٌّ مايُـردُّ ومـا يُـمْضي
(٥٣) فلست عَلى الأحياء حَيًّا مُمَلَّكا ولستَ على الأموات في نكتة الأرض
(٥٤) يقالُ أبيت اللعنَ، واللعنُ حَظُّهُ وسوفَ ـ أبيت الخيرَ ـ تُعْرَفُ بالخَفَضِ
(٥٥) فأقسمتُ عند النُّصب إني لَميِّتٌ بَمتْلَفَـة ليستْ بَغَـربٍ ولا خَـفْضِ
(٥٦) وتَصبُحُك الغلبـاء تغلبُ غـارةً هنالك لا يُنجيك عَرْضٌ من العَرضِ
(٥٧) ويُلْبَسُ قـومٌ بالمُشقَّر والصَّفا شآبيبَ مـوتٍ تستهلُ ولا تُـغْضي
(٥٨) تميلُ على العَبْديّ في حَدّ أرضه وكعبُ بن سَهل تخترمه عن المَحض
(٥٩) فلا أرفد المولى العنود نصيحتي إذا هـو لَـمْ يجنحْ إليَّ ولَـمْ يُـفْضِ
(٦٠) فما كُلُّ ذي غشّ يضرُّك غشُّهُ **ولا كـل مَنْ تهـوى كـرامتـه تُـرضي**

تعليق للجاحظ

جاء في البيان والتبين : ٢ : ٣٠١ تعليق دقيق للجاحظ :

قال أبوعثمان :

وليس في الأرض أعجب من طرفة وعبديغوث، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما في حالة إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في الأمن والرفاهية .

---

(٤٧) مفض : يدخل في الفضاء . (٤٨) رفض : متكسرة .

(٥٣) نكتة الأرض ورويت رجمة الأرض : القبور

(٥٥) المتلفة : الفلاة التي تتلف الناس والغرْب : الأرض المنخفضة

(٥٦) الغلباء : صفة لبني تغلب، والعرض : الناحية

(٥٧) تفضي : تستحيي وهي هنا بمعنى تكفُ وتنقطع

(٥٨) العبدي : عامل عمرو بين هند الذي حبس طرفة ثم قتله. وتخترمه : جذم الفعل لغير جازم

أفنــون التغلبي

صريم بن معشر

(... ــ نحو ٦٠ ق . هـ)

(... ــ نحو ٥٦٤ م.)

المصـــادر

الشعر والشعراء ٣٨٢/١٨٧

المفضليات وشرح المفضليات : المفضليان ٦٥ و ٦٦

شرح شواهد المغني ١٤٦

الاشتقاق ٢٠٣

المؤتلف ١٥١

اللآلىء ٦٨٤ ــ ٦٨٥

الخزانة ٤ : ٤٦٠

النقائض ٨٨٦

الحيوان ٣ : ١٣٥

تاريخ ابن الأثير ١ : ٢٢٦

ومصادر كثيرة أخرى ليس فيها تفصيل كالكامل ورغبة الآمل، ومعجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت.

اسمه :

صريم بن معشر، وجاء في المؤتلف أن اسمه ظالم

لقبه :

أفنون وفي الوشاح لابن دريد أنه لقب «أفنوناً» لقوله :

منيتنا الودَّ يامضنون مضنونا أزماننا إن للشبان أفنونا

قبيلته : بنو تغلب

ترجمته :

رغم وفرة المصادر التي تتحدث عن أفنون، فإن أخباره جد قليلة وتكاد تنحصر في الأسطورة التي رويت عن وفاته، ولعل أوفى مصدر يتحدث عنه وعن أسطورته المفضليات عند ذكر قصيدتين له هما رقم (٦٥) ورقم (٦٦).

قال المفضل :

بلغنا أن رجلاً من بني تغلب يقال له أفنون، يلقب به، واسم صريم بن معشر.. لقي كاهناً في الجاهلية. فسأله عن موته. فقال : أما إنك تموت بمكان، يقال له : إلاهةُ فمكث ماشاء الله ثم إنه سافر في ركب من قومه إلى الشام، فأتوها ثم انصرفوا، فضلوا الطريق، فاستقبلهم رجل، فسألوه عن طريقهم، فقال : خذوا كذا وكذا، فإذا عنت لكن إلاهة وهي قارة بالسماوة[1] وضح لكم الطريق، فلما سمع أفنون ذكر الموضع تطير، فلما أتوها نزل أصحابه، وأبى أن ينزل معهم، فبينا ناقته ترتعي عرفجاً لدغتها أفعى في مشفرها، فاحتكت بساقه، والحية متعلقة بمشفرها، فلدغته في ساقه، فقال لأخ له معه :

ــ احفر لي قبراً فإني ميت، ثم رفع صوته يقول : (الأبيات)

وقيل : إنه كان راكباً حماراً، فلما أبى النزول مع أصحابه، وطال وقوفه، ربض الحمار فلدغته حية، وقالوا : نهض حماره وسقط، فقال لأصحابه :

ــ إني ميت، فقالوا : ما عليك بأس. قال :فلم ربض العير[2] إذن ؟ فأرسلها مثلا ثم قال يرثي نفسه : (الأبيات)

---

(١)في معجم البكري : ١ : ١٨٦ أنها بين ديار تغلب والشام

(٢) معجم الأمثال : ٢ : ٧٢ وفرائد اللآل ٢ : ٥٨ ونسب فيهما إلى امرىء القيس قاله قبل موته .

أخباره في المصادر الأخرى :

لا تكاد أخباره في المصادر الأخرى تتجاوز هذا الخبر، وهكذا لا نكاد نعرف عنه غير ذلك .

شعره :

جاء في شعراء النصرانية ١٩٢ يعد صريم من شعراء الطبقة الثالثة، له شعر قليل متفرق : ولكن الشعر الذي يقي لنا منه شعر جيد. ويكاد ينحصر في المفضليتين رقم ٦٥ ورقم ٦٦ :

قصيدته في رثاء نفسه

تغنى أفنون قبل أن يموت يبكي نفسه :

(١) ألا لست في شيء، فروحن معاويا ولا المشفقــات إذ تبعــن الجوازيــا

(٢) فلا خير فيما كذب المرء نفسه وتقوالــه لـلشيء : يالـيت ذا ليــا

(٣) وإن أعجبتك الدهر حال من امرىء فدعــه وواكل حالــه والليالـيــا

(٤) يرحـن عليه أو يغيرن مـا بـه وإن لم يكن في جوفه العيش وانيا

(٥) فطأ مُعْرِضاً، إن الحقوق كثيرة ، وإنكَ لا تُبْقــي بمالك باقيـــا

(٦) لعمْركَ ما يدري امرؤ كَيْفَ يَتَّقي إذا هُوَ لَمْ يجعـلُ لـهُ اللـهُ واقيـا

(٧) كفىٰ حَزَناً أن يَرْحَلَ الركبُ غُدوة وأتــركَ في أعلى إلاهَــةَ ثاويـــا

ومات من ساعته، فقبره هناك .

⁂

(١) كتبت فروحن أيضاً فروحاً. رويت : إن تبعن : يتقين. الجوازي : الكواهن يريد : كما لا تملك من أمري شيئاً كذلك النساء المشفقات لا يقدرن على اتقاء أحكام الكواهن وروي لست (بضمير المخاطب) ولستُ (بضمير المتكلم).

(٢) المعنى أن حديث النفس ـــ إذا حقت الحقائق ـــ لا يغني شيئاً، صدقاً كان أو كذباً .

(٣ـــ٤) إذا أعجبتك حال إنسان سعيد فدعه لليالي فهي التي تغير حاله وتقلبه شقياً بعد أ كان سعيداً .

(٥) في العقد بنفسك وفي المفضلية ٦٥ ص ٢٦١ بمالك. جاء في شرح الخطيب التبريزي لاختيارات المفصل ـــ (وأكد الشرح للأبيات منه): يخاطب صاحبه أو نفسه. فيقول : أقدم على ما يعرض لك، واركب ما يعطيك ظهره، عالما أن أنواع المكاره كثيرة. إن المال لا يحرسك ولا يدفع مكروها عنك، وهو بعرض الزوال، وإن اجتهدت في تبقيته .

(٦) في العقد له الدهر وفي المفضلية: له الله .

(٧) في المفضلية : وأصبح، وفي شعراء النصرانية : وأصبح في عليا الإلاهة .

عبد يغوث بن صلاءة

(.... ـ ٤٠ ق . هـ)

(.... ـ ٥٨٤ م)

المصـادر

١ ـــ المفضليات شرح ابن الأنباري : ٣١٥ / ٣١٧ المفضليات شرّح الخطيب التبريزي : ٧٦٦ ـــ ٧٧٣

٢ ـــ الأغاني (الدار) الأصبهاني ١٦ : ٣٢٨ ـــ ٣٤١

٣ ـــ خزانة الأدب البغدادي ١ : ٣١٧

٤ ـــ والحماسة البصرية البصري ١ : ٩٣

٥ ـــ المحبر ٢٥١

٦ ـــ شعراء النصرانية شيخو ١ : ٧٥ ـــ ٧٩

٧ ـــ سمط اللآلىء البكري ـــ الميمني ٣ : ٦٣

٨ ـــ أسماء المغتالين ابن حبيب ٢٤٦

نسبه :

هو عبد يغوث بن صلاءة، وقيل بل عبد يغوث بن الحارث بن وقاص من بني الحارث .

أخباره :

جمع قومه من بني الحارث وبعث الرسل إلى قبائل اليمن وأحلافها من قضاعة وغزا بني تميم يوم الكلاب الثاني فغلبتهم بنو تميم وقتلت منهم وأسرت عدداً كبيراً، وأسر عبد يغوث نفسه، أسره فتى من بني عمير بن عبد شمس فانطلق به إلى أهله، وكان العبشمي أهوج فقالت له أمه ــ ورأت عبد يغوث عظيماً جميلاً جسيما ــ من أنت ؟ قال : أنا سيد القوم، فضحكت وقالت : قبحك الله من سيد قوم حين أسرك هذا الأهوج فقال عبد يغوث :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانيا

ثم قال لها : أيتها الحرة، هل لك إلى خير ؟ قالت : وماذاك ؟ قال : أعطي ابنك مئة من الإبل، وينطلق بي إلى الأهتم، فإني أخاف أن تنتزعني سعد والرباب منه، فضمن له مئة من الإبل، وأرسل إلى بني الحارث فوجهوا بها إليه فقبضها العبشمي، فانطلق به إلى الأهتم، وأنشأ عبد يغوث يقول :

أأهتم يا خير البرية والدأ ورهطاً إذا ما الناس عدّوا المساعيا

تدارك أسيراً عانياً في بلادكم ولا تُثْقفنّي التيم ألقى الدواهيا

قتله :

فمشت سعد والرباب فيه . فقالت الرباب : يا بني سعد، قتل فارسنا ولم يقتل لكم فارس مذكور، فدفعه الأهتم إليهم، فأخذه عصمة بن أبير التيمي، فانطلق به إلى منزله فقال عبد يغوث

ــ يا بني تيم، اقتلوني قتلة كريمة

فقال له عصمة :

ــ وما تلك القتلة ؟

قال :

اسقوني الخمر، ودعوني أنح على نفسي

فقال له عصمة :

— نعم

فسقاه الخمر ثم قطع له عرقاً يقال له الأكحل، وتركه ينزف. ومضى عنه عصمة وترك معه اثنين له فقالا :

— جمعت أهل اليمن، وجئت لتصطلمنا، فكيف رأيت الله صنع بك ؟ فقال عبد يغوث في ذلك :

ألالا تلوماني كفى اللومَ ما بيا فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا

قال : فضحكت العبشمية، وهم آسروه، وذلك أنهم لما أسروه شدوا لسانه بنسعة (سير من جلد) لئلا يهجوهم، وأبوا إلا قتله.

دريد بن الصمة وعبد يغوث :

عندما رثى دريد بن الصمة أخاه عبدالله أشار إلى عبد يغوث وقتله فقال : (الحماسة ص ٨٢٢)

تقولُ : أَلا تبكي أخاكَ ؟ وقد أُرى مكانَ البكا، لكنْ بُنيت على الصبّر

فقلتُ : أعبدَالله أبكي أم الذي لَهُ الجَدَث الأعلى قتيلَ أبي بَكرِ

وعبدَ يغوث تَحْجِلُ الطيرُ حولَه وعَزَّ المصابُ جثوُ قبرٍ على قبرِ

الغناء بقصيدة عبد يغوث

جاء في الأغاني (الدار) ١٦ : ٣٢٧

صـوت

فيا راكباً إمَّا عَرضت فبلغنْ نداماي من نجرانَ أنْ لا تَلاقيا

أبا كَربٍ والأيْهَمْين كِلَيْهما وقيساً بأعلىٰ حضرموتَ اليمانيا

وتضحكُ مني شيخةٌ عَبْشَمِيةٌ كأنْ لم تريْ قبلي أَسيراً يمانيا

أقولُ وقد شَدُّوا لساني بنسعة أمعشرَ تيمٍ أَطْلِقوا عَنْ لسانيا

الشعر لعبد يغوث بن صلاءة الحارثي، والغناء لإسحاق، ثقيل أول.

حول القصيدة

مقدمة

تعرضت قصيدة عبد يغوث في رثاء نفسه إلى ما تعرض له سائر الشعر العربي من شكوك. وإليك ما ورد في كتاب الأسر والسجن في شعر العرب ص ٤٤٠ قال :

وزيد في قصيدة الأسير عبد يغوث بن صلاءة الحارثي اليمني زيادة بمقدار الثلث، وهي في المفضليات عشرون بيتاً ووقف الأصمعي في روايتها عند البيت الثاني عشر، ولم يصح له منها غيرُ هذا القدر[1]. وقد يفترض أن اختلاف مصادر الرواية وطرقها بين مدرستي الكوفة والبصرة سبب للخلاف في عدد الأبيات. وإذا صح هذا الافتراض في بعض القصائد، فإن النقد الموضوعي يأباه في قصيدة عبد يغوث، ويرجح وضع ثمانية أبيات زيدت في نهايتها، فقد نظم الأسير قصيدته بين أعدائه، وهم رواتها بعد أن قتلوه، وليسوا من الغفلة أن يرووا ما يسيء إلى سمعتهم، وهو في البيت الثالث عشر يعرض بنسائهم وميلهن إلى الفاحشة[2]، ولا شك أن العصبية اليمنية أضافت مثل هذا الشعر إلى أصل القصيدة تغيظاً لبني تميم الذين يفخرون بأسره وقتله .

والحق أن الشك يمكن أن يلحق بعض أبيات القصيدة، ولا سيما البيت الذي يعرض فيه بنساء بني تميم، وتبقى القصيدة في مجملها صحيحة النسبة لعبد يغوث .

القصيدة

أبيات القصيدة : تختلف المصادر في أبيات القصيدة اختلافاً، فهي ١٨ أو ١٩ أو ٢٠ أو ٢١ وتبلغ أحياناً ٢٣ بيتاً إذا أضفنا إليها بيتين قالهما عبد يغوث في مدح الأهتم واستعطافه وهما رقم ١ و٢ وبيتاً أورده ابن الأثير هو رقم ٢٣ .

(١) أأهْتَمُ يا خيرَ البريّة والداً   ورهطاً إذا ما الناسُ عَدّوا المساعيا
(٢) تدارَكْ أسيراً عانياً في حبالكمْ   ولا تُثْقِفَنّي التيمَ ألْقَى الدّواهيا
(٣) ألا لا تلوماني، كفى اللومَ مابيا   فما لكما في اللومِ خيرٌ ولا ليا
(٤) ألم تعلما أنَّ الملامة نفعُها   قليلٌ، وما لَومي أخي من شماليا
(٥) فيا راكباً إمّا عرضتَ فَبَلِّغَنْ   نداماي، من نجران، ألاّتلاقيا
(٦) جزى اللهُ قومي بالكُلاب ملامةً   صريحهم والآخرينَ المواليا

(١) انظر المفضليات شرح ابن الأنباري طبع الآباء اليسوعيين ص ٣/٧ قال الأصمعي إلى هاهنا سمعت (البيت ١٢) ولم أسمع بقيتها .

(٢) قال :

وظل نساء الحي حولي ركداً   يراودن مني ما تريد نسائيا

(٤) شمالي : أخلاقي   (٦) الصريح : العربي الخالص. الموالي هاهنا الحلفاء.

(٧) أبا كـرب، والأيهَمَيْـن كليهمـا وقـيساً بأعلـىٰ حضرَمَـوْتَ اليمانيـا

(٨) ولو شئتُ نجتني، من الخيل، نهدةٌ تـرىٰ خلفهـا الحُـوَّ الجيـاد تواليـا

(٩) ولكننـي أحمي ذمـارَ أبيكـمُ وكانَ الرمـاحُ يَخْتَطفْـنَ المُحاميـا

(١٠) أقولُ وقد شَدوًا لساني بنسعةٍ أمـعشَرَ تَيْـمٍ أطلقـوا عَـنْ لسانيـا

(١١) أمعشَرَ تيمٍ قد مَلكْتُمْ فأسجُحوا فـإنَّ أخاكـمُ لم يكُـنْ مِـنْ بوائيـا

(١٢) فإنْ تقتلوني تقتلُوا بِيَ سَيِّدا وإن تطلقـوني تَحْربـُوني ماليـا

(١٣) أَحَقّاً عبادَ اللهِ، أنْ لَستُ سامعاً نشيـد الرِّعـاء، المعـزبين، المتاليـا

(١٤) وتضحكُ مني شيخةٌ عَبْشمِيةٌ كـأنْ لم تَـرَيْ قـبلي أسيراً يمانيـا

(١٥) وظَلَّ نساء الحَيِّ حِوْلي رُكَّداً يُـراوِدْن مِنـيّ مـا تريـدُ نسائيـا

(١٦) وقد علمتْ عرسي مُلَيكَةُ أنَنّي أنـا الليـثُ، معـدوًّا عليـه وعاديـا

(١٧) وقد كنتُ نحّارَ الجزورِ وُمْعمل الـ مَطيِّ وأمْضي حيث لاَحيَّ ماضيـا

(١٨) وأنحُر للشَّرْب الكرام مطيَّتي وأصـدَعُ بين القينـتين ردائيـا

(١٩) وكنتُ إذا ما الخيلُ شَمَّصها القَنا لبيقـاً بتصريـف القنـاة بنانيـا

(٢٠) وعاديـة سَوْمَ الجراد وَزَعْتُها بكفّـي وقَـدْ أنحوا إلَـيَّ العوانيـا

(٢١) كأنِّي لَمْ أركبْ جواداً ولمْ أقُلْ لخيلي: كُرِّي، نَفِّسي عَنْ رجاليـا

(٢٢) ولم أَسْبَأ الزِّقَّ الرَّويَّ ولم أقُلْ لأيسار صدق: أَعظمـوا ضوءَ ناريـا

(٢٣) فيا عاصِ فُكَّ القيدَ عَنّي، فإنَّني صبـوٌر على مَـرِ الحوادثِ ناكِيـا

تذكير :

ونذكر القارىء برأي الجاحظ في رثاء عبد يغوث لنفسه، هذا الرأي الذي أوردناه في آخر قصيدة طرفة بن العبد لنفسه (انظر طرفة).

***

(٧) أبوكرب : بشر بن علقمة، الأيهمان : الأسود بن علقمة والعاقب، وهو المسيح بن أبيض.

(٨) نهدة : عالية مرتفعة. الحو : جمع حواء : التي تضرب إلى الخضرة. تواليا : متتابعة.

(١٠) النسعة : سير من جلد يشد به لسان الأسير الشاعر لكيلا يهجو آسريه، وقيل أراد : افعلوا بي خيراً لأشكركم.

(١١) أسجحوا : يسروا أمري واعفوا عني. (١٢) في بوائيا : لم أقتل صاحبكم فاقتل به.

(١٣) علق مؤلف (الأسر والسجن في شعر العرب) على هذا البيت فقال : ويبدو صراخ الارتياع في آماده البعيدة في بيت هتف به عبد يغوث لما تيقن أن الذين أسروه، لابد قاتلوه.

(١٨) القينتين مثنى قينة وهي الأمة المغنية. (١٩) شمَّصها : نفرها وبددها.

(٢٠) سوم الجراد : انتشار الجراد في المرعى. وزعتها : كففتها. أنحوا الرماح : أمالوها نحوي. العادية : القوم يعدون .

قيس بن الحُدَاديَّـــة

(... – ...)

(... – ...)

المصادر القديمة

١ ــ الأغاني (الدار) ١٤٢ ــ ١٦٠

٢ ــ من نسب إلى غير أمه من الشعراء لابن حبيب من نوادر المخطوطات ٨٦ ــ ٨٧

٣ ــ المرزباني في معجم الشعراء ٢٠٢

٤ ــ الحماسة البصرية ٢ : ١٣٩

المصادر الحديثة

٥ ــ الأعلام ٦ : ٦١

٦ ــ الشعراء الصعاليك (خليف) ٩٦ ــ ٩٨

لا نعرف متى ولد ومتى مات، وكل ما نعرفه عنه أنه شاعر جاهلي جاء في معجم الشعراء (٢٠٢) :

قيس بن الحُدادِيَّة، والحُدادية أمه، وهي من بني حُداد من كنانة، وقوم يجعلونها من حِداد محارب، وحُداد بالضم من كنانة، وحِداد بالكسر من محارب، وهو قيس بن منقذ .. وهو شاعر قديم. كثير الشعر ....

أما ابن حبيب في كتابه (من نسب من الشعراء إلى أمه) فيقول: (١ : ٨٦ ـــ ٨٧) قيس بن الحِدادية، وهي أمه من محارب .. حضرمية، وله شعر ويضيف صاحب الأغاني شيئاً آخر فيقول: (الأغاني ١٤ : ١٤٢ ـــ ١٦٠) .. شاعر من شعراء الجاهلية ـــ وكان فاتكاً شجاعاً صعلوكاً خليعاً، خلعته خزاعة بسوق عكاظ وأشهدت على أنفسها بخلعها إياه، فلا تحتمل جريرة له، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه..

وبذكر أبوالفرج بعض مغامرات قيس وغاراته ويذكر أسره مع بعض بني خزاعة، فلما كان أوان الحج، أخرجهم من أسرهم إلى مكة في الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم، فغدوا إلى الخلصاء[1]، وفيهم قيس بن الحدادية، فأخرجوهم وحملوهم وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم، فمر بهم عدي بن نوفل فاستجاروا به فابتاعهم وأعتقهم فقال قيس يمدحه (ويذكر أبيات قيس)

ولم نر ضرورة لذكرها في هذا البحث.

ويمضي أبوالفرج في الحديث عن قيس ويذكر حبه لأم مالك الخزاعية، قال أبوعمرو :

وكان قيس بن الحدادية يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعي، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين إلى مصر والشام ـــ لأنهم أجدبوا ـــ حتى إذا كانوا ببعض الطريق رأوا البروق خلفهم ـــ وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر

---

(١) الخلصاء: مكان.

وغزارته فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير إلى أوطانهم، وتقدم قبيصة بن ذؤيب، ومعه أخته أم مالك ـــ واسمها نعم بنت ذؤيب ـــ فمضى فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدة التي منها الغناء المذكور .

وأورد أبوالفرج قصيدة قيس وهي طويلة تقع في ٤٤ بيتاً رأيت أن أقتصر منها على الأبيات التي تغنى بها إسحاق منها، فمن أراد الزيادة راجع القصيدة في الأغاني .

ثم يورد أبوالفرج قصيدة ثانية يائية لقيس، يذكر بين الحي وتفرقهم وينسب بنعم. دخلت بعض أبياتها في شعر المجنون.

مقتل قيس

جاء في الأغاني :

قال أبوعمرو: وكان من خبر مقتل قيس بن الحدادية أنه لقي جمعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غرة، فقالوا له : استأسر فقال : وما ينفعكم مني إذا استأسرت وأنا خليع ؟ والله لوأسرتموني ثم طلبتم بدمي من قومي عنزاً جرباء جذماء[١] ما اعطيتموها.

فقالوا له استأسر لا أم لك[٢] فقال:

نفسي علي أكرم من ذاك، وقاتلهم حتى قتل وهو يرتجز

(الأرجوزة)

وقيل: إنه كان يتحدث إلى امرأة من بني سليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها، فأفلت فنام في ظل، وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه فقاتلهم، فلم يزل يرتجز، وهو يقاتلهم، حتى قتل.

---

(١) جذماء : مقطوعة اليد

(٢) لا أم لك : شتيمة معروفة عند العرب

أرجوزة قيس بن الحدادية
قبل مقتله

١ أنا الذي تخلعه مواليه(٥)
٢ وكلهم بعد الصفاء قاليه
٣ وكلهم يقسم لا يباليه
٤ أنا إذا الموت ينوب غاليه
٥ مختلط أسفله بعاليه
٦ قد يعلم الفتيان أني صاليه
٧ إذا الحديد رفعت عواليه

قال أبوالفرج :

وقد جمع معه كل ما يغنَّى في هذه القصيدة :

(١) أجدك أن نعم نأت أنت جازع قد اقتربت لو أن ذلك نافع
(٢) وحسبك من نأي ثلاثة أشهر ومن حزن أن شاق قلبك رابع
(٣) بكت عين من أبكاك، ليس لك البكى ولا تتخالجك الأمور النوازع
(٤) فلا يسمعن سري وسرك ثالث ألا كل سر جاوز اثنين شائع
(٥) وكيف يشيع السر مني ودونه حجاب، ومن فوق الحجاب الأضالع

---

(٥) التخريج : الأغاني : ١٤ : ١٦
(١) الموالي هنا : الأصل وأبناء العم، والهاء للسكت. (٢) قاليه : كاره، مبغض
(٣) يقال لا يباليه ولا يبالي به (٤) الغالي : المبالغ المتشدد.
(٦) صالي : مقتحم ، موقد. (٧) العوالي : الرماح.
(٣) تتخالجك : تتنازعك وتجاذبك. النوازع : الهموم التي تنزع النفوس من الصدور.

(٦) كأن فؤادي بين شقين من عصا حذار وقوع البين والبين واقع

(٧) وقالت — وعيناها تفيضان عبرة بأهلي بين لي متى أنت راجع

(٨) فقلت لها: بالله يدري مسافر إذا أضمرته الأرض ما الله صانع

(٩) فشدت على فيها اللثام وأعرضت وأقبلن بالكحل السحيق المدامع

خاتمة

ولا بأس أن نختم الحديث عن قيس بهذه الكلمة العادلة التي أوردها د. يوسف خليف في كتابه (الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص ٩٧ — ٩٨) قال:

(وظل هذا الصعلوك «قيس» المتمرد يجمع الخلعاء والشذاذ ويغير بهم حتى قُتل، وهو خليع، قتلةً كان فيها شجاعاً حتى النهاية، وقبل أن يوشك سراج حياته على الانطفاء تذكر تلك الحادثة التي كانت سبباً في تلك الحياة القاسية التي عاشها طريداً مشرداً، حادثة خلعه، فأخذ ينشد — وهو يقاتل — نشيداً فيه حسرة، وفيه شجاعة وفيه اعتداد بالنفس : حسرة على حياته التي ذهبت مع الريح بعد أيام جميلة قضاها في حمى القبيلة، في اللهو تارة وفي الجد تارة أخرى[1]، عُضواً عاملاً في مجتمع القبيلة، يدافع عنها، ويشيد بمفاخرها ويهجو أعداءها، بل يقودها أحياناً في شجاعة إلى مواقع النصر[2])

⚜⚜⚜

---

(٨) يدري : بحذف لا، والأصل لايدري أو بحذف همزة الاستفهام : أيدري ؟ وروي في المرزباني فقلت لها : والله ما من مسافر يحيط بعلم الله، ما الله صانع.

(٩) السحيق : المسحوق.

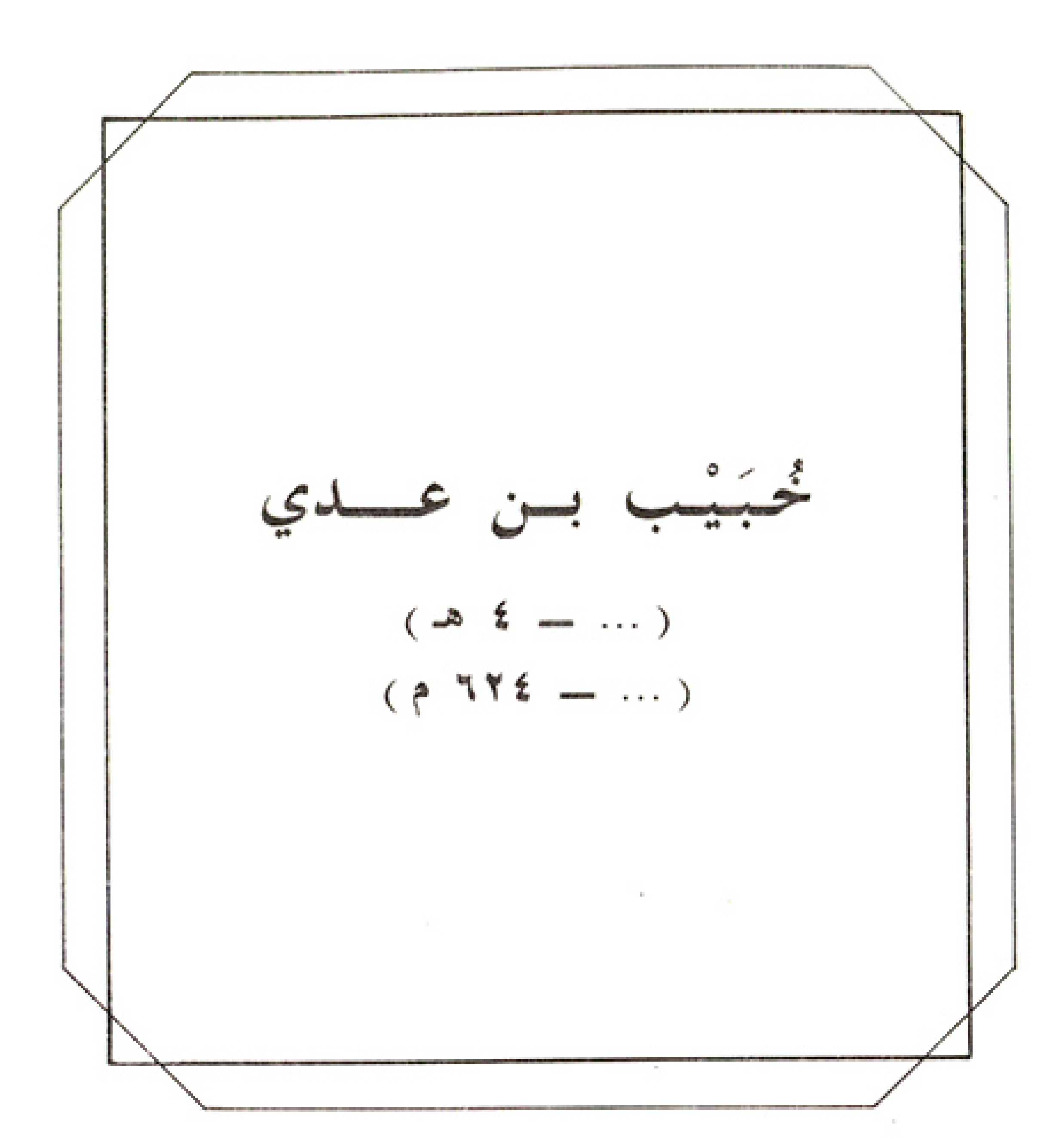
(١) فيوماي يوم في الحديد مسربلاً ويوم مع البيض الأوانس لاهيا
(الأغاني ١٤ : ١٥٩)

(٢) وفي معجم الشعراء (٢٠٢) أبيات ثلاثة معبرة يذكر فيها قيس لهوه في شبابه، وحسرته في شيبه. قال :

هل الأذم كالآرام والزهر كالدمى معاودتي أيامُهنَّ الصوالحُ

زمان سلاحي بينهن شبيبتي لها سائف في سيبهنّ ورامحُ

فأقسمنَ لا يسقينني قطر مُزنةٍ لشيبي ولو سالتْ بهنّ الأباطحُ



خُبَيْب بن عــدي

(... ـ ٤ هـ)

(... ـ ٦٢٤ م)

المصـــادر

١ ــ تاريخ الطبري ٢ : ٥٣٨ ....
٢ ــ الأغاني (الدار) ٤ : ٢٢٥ ــ ٢٢٧
٣ ــ سيرة ابن هشام ٣ : ١٧١ ــ ١٧٦
٤ ــ الروض الأنف ٢ : ١٦٧ ــ ١٧٦

نسـبه :

هو خُبَيْب بن عدي أخو بني جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف، من الأنصار: شهيد من شهداء الإسلام الأوائل.

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة.

غزوة الرجيع

جاء في تاريخ الطبري ٢ : ٥٣٨ ــ ... تحت هذا العنوان السابق:

... قدم على رسول الله بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا له: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً وخيراً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام فبعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ معهم نفراً ستة من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبدالمطلب، وخالد بن البكير حليف بني عدي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخا بني عمرو بن عوف، وخبيب بن عدي أخا بني جحجبى بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدثنة أخا بني بياضة بن عامر، وعبدالله بن طارق حليفاً لبني ظفر من بليّ.

وأمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على القوم مرثَد بن أبي مرثَد، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرَّجيع (ماء لهذيل بناحية الحجاز من صدور الهدأة) غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلا، فلم يُرع القوم ــ وهم في رحالهم ــ إلا بالرجال في أيديهم السيوف قد غشوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم :

إنا والله لا نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم.

فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح فقالوا :

والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبدا

فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً.

وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي وعبدالله بن طارق فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة، فأعطوا بأيديهم[1]، فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها،

---

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا

حتى إذا كانوا بالظهران، انتزع عبدالله بن طارق يده من القِران[٢]، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم، فرموه بالحجارة حتى قتلوه، فقبره بالظهران.

وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، فقدموا بهما مكة، فباعوهما، فابتاع خبيباً حُجَيْرُ بن أبي إهاب التميمي ... ليقتله بأبيه .. وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ....

قال أبوجعفر، وأما غير ابن إسحاق، فإنه قص من خبر هذه السرية غير الذي قصه والذي قصه غيره .... أن رسوال الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعث عشرة رهط وأمر عليهم عاصم بن ثابت، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهدأة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم : بنو لحيان، فبعثوا اليهم مائة رجل راميا، فوجدوا مأكلهم حيث أكلوا التمر، فقالوا : هذه نوى يثرب، ثم اتبعوا آثارهم، حتى إذا أحس بهم عاصم وأصحابه التجأوا إلى جبل فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم وأعطوهم العهد فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافر، اللهم أخبر نبيك عنا، ونزل إليهم ابن الدثنة البياضي، وخبيب، ورجل آخر، فأطلق القوم أوتار قسيهم ثم أوثقوهم، فجرحوا رجلاً من الثلاثة فقال : هذا والله أول الغدر، والله لا أتبعكم فضربوه فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وابن الدثنة إلى مكة، فدفعوا خبيبا إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبدمناف، وكان خبيب هو الذي قتل الحارث بأحد . فبينا خبيب عند بنات الحارث إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسى يستحد[٣] بها للقتل، فما راعت المرأة، ولها صبي يدرج ــ إلا بخبيب قد أجلس الصبي على فخذه، والموسى في يده ــ فصاحت المرأة، فقال خبيب :

أتخشين أني أقتله. إن الغدر ليس من شأننا

فقالت المرأة بعد :

ــ ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب .. لقد رأيته وما بمكة من ثمرة، وإن في يده لقطفاً من عنب يأكله، إن كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً .....

---

(٢) الحبل يربط به الأسير

(٣) يستحد : يحلق شعر عانته لئلا يظهر عند قتله.

مقتل خبيب :

فلما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه قال : ذروني أصل ركعتين، فتركوه فصلى سجدتين، فجرت سنة لمن قتل صبراً أن يصلي ركعتين، ثم قال خبيب :

لولا أن يقول جَزِعَ لزدت وما أبالي على أي شق كان للـــه مصرعـــي

ثم قال :

وذلك في ذات الإلـــــه وإنْ يشأ يبـــاركْ علـــى أوصالِ شلـــوٍ ممزَّعِ

اللهم أحصهم عدداً وخذهم بدَدا.

ثم خرج به أبوسروعة بن الحارث ... فضربه فقتله.

مقتل زيد بن الدثنة :

قال أبوجعفر : وأما زيد بن الدثنة، فإن صفوان بن أمية بعث به .... مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم، وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع إليه رهط من قريش فيهم أبوسفيان بن حرب، فقال له أبوسفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك ؟!

قال :

ــ والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي. قال يقول أبوسفيان :

ــ ما رأيت في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

ثم قتله نسطاس.

هل صلب خبيب

وربما قتل خبيب صلباً أو صلب بعد قتله.

جاء في تاريخ الطبري ٢ : ٥٤١

حدثنا ابن كريب قال: حدثنا جعفر بن عوف، عن إبراهيم بن اسماعيل قال: وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه عن جده أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعثه عيناً إلى قريش قال: فجئت إلى خشبة خبيب، أنا أتخوف العيون، فرقيت فيها فحللت خبيباً، فوقع إلى الأرض فانتبذت غير بعيد ثم لم أر لخبيب رمة[1]، فكأنما الأرض ابتلعته، فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة.

وفي الطبري : ٥٤٤ تفصيل أكثر :

قال عمرو بن أمية .... ثم خرجنا إلى التنعيم، فإذا خشبة خبيب، فقال لي صاحبي :

ــ هل لك في خبيب تنزله عن خشبته ؟ فقلت : وأين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى فقلت : نعم، فأمهلني وتنح عني ...... قال : وحوله حرس يحرسونه، فاشتددت إلى خشبته فاحتللته واحتملته على ظهري، فوالله ما مشيت إلا أربعين ذراعاً حتى نذروا بي فطرحته، فما أنسى وجبته[٢] حين سقط فاشتدوا في أثري، فأخذت طريق الصفراء، فأعيوا فرجعوا ...

ونلاحظ أن الخبر الثاني لا يذكر اختفاء جثة خبيب ــ رحمه الله ــ

ويذكر الطبري ٢ : ٥٩٥، في غزوة بني لحيان سنة ست أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ خرج ... يطلب بأصحاب الرجيع، خبيب بن عدي وأصحابه ....

ثم يذكر خبر الغزوة

قصيدة خبيب بن عدي قبل قتله

قال ابن إسحاق(٥) :

وكان مما قيل في ذلك من الشعر قول خبيب بن عدي حين بلغه أن القوم اجتمعوا لصلبه

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له

(١) لقد جَمَّعَ الأحزابُ حَولي وألَّبوا قبائلهم واستجْمعوا كُلَّ مَجْمَع

(٢) وكُلُّهم مُبدي العداوة جاهدٌ عليَّ لأنِّي في وثاقٍ مضيَّع

(٣) وقد جَمَّعُوا أبناءَهم ونساءَهم وقُرِّبتُ من جِذْعٍ طويلٍ مُمَنَّع

(٤) إلى اللهَ أشكو غُربتي ثم كُربتي وما أرصدَ الأحزاب لي عند مَصْرعي

(٥) فذا العرشِ صبِّرْني على ما يرادُ بي فقد بضَّعُوا لحمي وقد ياس مطمعي

---

(١) رمة : جثة. (٢) صوت سقوطه.

(٥) التخريج: سيرة ابن هشام، تحقيق السقا والأبياري والشلبي. مطبعة البابي القاهرة ١٩٣٦

(١) ألبوا : جمعوا وحضوا

(٤) أرصد : أعد

(٥) بضعوا : قطعوا. ياس (بتخفيف الهمزة) لغة في يئس

(٦) وذلك في ذاتِ الإلهَ، وإن يشأْ يبــارِكْ على أوصال شلــوٍ ممزَّع

(٧) وقد خيرَّوني الكفر والموتُ دونه وقد هملتْ عيناي من غير مجْـزَعِ

(٨) وما بي حِذارُ الموت، إنّي لميّتٌ ولكـنْ حِذاري جحـمُ نـارٍ مُلَفَّـعِ

(٩) ولستُ أبالي حينَ أُقْتَلُ مُسْلماً عَلَى أيّ جَنْبٍ كانَ في الله مَصْرَعي

(١٠) ولستُ بمبـد للعـدوّ تخشُّعـاً ولا جَزَعـاً، إني إلى اللـه مَرْجعـي

هذه قصيدة خبيب بن عدي التي قالها قبل قتله وصلبه.

وأرى أن لا سبيل إلى إنكارها فقد وردت بعض أبياتها في كثير من مصادر السيرة والأدب، وحسبك أن الطبري قد أورد بيتاً وشطراً منها في تاريخه ٢ : ٥٣٨ في حديثه عن غزوة الرجيع، ثم إن الروح الإسلامية في استسلامها لله، وفي إنكار الكفر، وفي استقبال الموت استقبال الرجال، واضحة كل الوضوح، فلا مجال لشك ابن هشام فيها.

حسان بن ثابت يرثي خبيب بن عدي

كان لغدر بني عضل والقارة ببعثة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إليهم، وهم الذين طلبوا هذه البعثة لتفقههم بالدين وتقرئهم القرآن وتعلمهم شعائر الإسلام، أثر كبير في غضب المسلمين وفي رغبتهم في الأخذ بثأر إخوانهم القتلى غدراً وخيانة.

وقد هزت الحادثة شاعر المسلمين، حسان بن ثابت فخص خبيباً بن عدي بثلاث قصائد في رثائه وردت في ديوان حسان في الصفحات ٣٤ و ١٣٩ و ١٧١. ورأيت أن أذكرها كلها لبيان قيمة الشهيد خبيب ومقدار الأسى والغضب من الغدر به وبأصحابه ثم قتله وصلبه.

قال حسان(*) يرثي خبيباً بن عدي الأنصاري :

(١) يا عينُ جودي بدمعٍ منكِ منسكبِ وابكي خُبَيْباً مع الغادينَ لَمْ يَؤُبَ

(٢) صقراً توسّطَ في الأنصار منصبُه حلوَ السجِيّةِ، مَحْضاً غير مؤتشبِ

---

(٦) الشلو : البقية الباقية. ممزع : مقطع (٧) هملت : سال دمعها

(٨) جحم : الملتهب، المتقد، ومنه سميت الجحيم. ملفع : شامل عام

(*) التخريج : ديوان حسان : دار التراث العربي (بيروت) (١) لم يؤب : لم يعد

(٢) المؤتشب : الدخيل، المختلط

(٣) قد هاجَ عيني على عَلاتِ عَبْرَتِها إذْ قيلَ نُصَّ على جذعٍ منَ الخشبِ
(٤) يا أيها الراكبُ الغادي لطيته أبلغْ لديكَ وعيداً ليسَ بالكذِبِ
(٥) بني فُكَيْهَةَ إن الحربَ قد لقحَتْ محلوبُها الصابُ، إذ تُمرىٰ لمُحْتَلِبِ
(٦) فيها أسودُ بني النجّارِ يَقْدُمُهم شهبُ الأسنَّة في مُعصْوصبٍ لجبِ

وقال حسان يرثي خبيباً(٭)

(١) لو كانَ في الدارِ قومٌ ذو محافظةٍ حامي الحقيقةِ ماضٍ، خالُهُ أنس
(٢) إذاً حللتَ خبيبٌ منزلاً فُسحا ولم يُشدَّ عليك الكبلُ والحَرَسُ
(٣) ولم يسُقْكَ إلى التنعيمِ زعنفةٌ من المعاشرِ ممَّنْ قد نَفَتْ عُدُسُ
(٤) صبراً خبيبُ فإن القتل مكرُمَةٌ إلى جنان نعيمٍ يَرْجِعُ النَّفَسُ

وقال حسان يرثي خبيباً بن عدي الأنصاري(٭)

(١) ما بالُ عينك لا تَرقا مدامعُها سحّاً على الصّدرِ مثلَ اللؤلؤِ الفَلَق
(٢) على خُبيبٍ وفي الرحمنُ مَصْرَعُهُ لا فَشلٍ حين تلقاهُ ولا نزقِ
(٣) فأذهبْ خبيبُ، جزاك اللهُ طيبةً وجَنَّةَ الخُلْدِ عند الحُور في الرُّفق
(٤) ماذا تقولونَ إن قالَ النبيُّ لكُمْ حينَ الملائكةُ الأبرار في الأُفُقِ
(٥) فيما قَتَلْتُمْ شهيد اللهِ في رَجُلٍ طاغٍ قد اوْعث في البلدان والطُّرُق
(٦) أبا إهاب فَبَيِّنْ لي حديثكُم أينَ الغزالُ محلّىً الدُّر والوَرِقِ
(٧) لا تذكرنّ إذا ما كنتَ مفتخراً أبا كثيبة قد أسرفت في الحُمُقِ
(٨) ولا عَزيزاً فإنَّ الغدرَ منقصةٌ إنّ عزيزاً دقيقُ النّفسِ والخُلُقِ

❦❦❦

---

(٣) يؤيد هذا البيت الذي نظمه حسان في عهد خبيب أنه صلب

(٥) بنو فكيهة : القوم الذي غدروا بخبيب. لقحت : اشتدت. الملحوب : اللبن. تمرى : تمسح ليدر اللبن

(٭) الديوان : ١٣٩ (١) الكبل : القيد والسجن (٢) التنعيم : مكان. الزعنفة : الجماعة من سفلة الناس.

(٭) التخريج : الديوان ص ١٧١

(١) ترقأ : تجف، وخففت الهمزة. السح : الصب والسكب. الفلق : المقطع المتناثر

(٢) الفشل : الخائف الجبان.

(٣) الرفق : الرفقاء والأصحاب.

(٤) حين الملائكة في الأفق : أراد يوم القيامة

(٥) أوعث : أفسد كثيراً. (بقلب همزة القطع همزة وصل).

(٦) الورق (بكسر الراء) الفضة.

سحيم عبد بني الحسحاس

(... ـ نحو ٤٠ هـ)

(... ـ نحو ٦٦٠ م)

المصــادر

١	ديوان سحيم	صنعة عبدالعزيز الميمني
٢	البيان والتبيين	الجاحظ ١ : ٩٤ ــ ٩٥
٣	الشعر والشعراء	ابن قتيبة ص : ٣٦٩ ــ ٣٧٠
٤	طبقات الشعراء	ابن سلام ص : ١٨٧/١٧٢/٩٢ ــ ١٨٨
٥	الكامل	المبرد ص : ٣٦٦
٦	الإصابة	الترجمة رقم ٣٦٦٤
٧	ديوان المعاني	العسكري ١٦٦
٨	الأشباه والنظائر	الخالديان ١٥٣
٩	المغتالون	نسخة الميمني ١٣٦ المطبوعة ٢ : ٢٧٢
١٠	السيوطي	١١٢
١١	فوات الوفيات	١ : ٣١٣
١٢	سمط اللآلىء	٧٢٠ ــ ٧٢١
١٣	خزانة الأدب	البغدادي ١ : ٢٧١ ــ ٢٧٤

أخبار سحيم وترجمته

يكنى أبا عبدالله وقيل في اسمه : حية، وسحيم : تصغير ترخيم الأسحم بمعنى الأسود، وقتل في حدود الأربعين من الهجرة ـــ كما في الفوات ـــ ولكنهم اطبقوا على أن مقتله كان في زمن عثمان، أي قبل ٣٥ من الهجرة. وكان يرتضح لكنة أعجمية. كان ينشد ويقول : أحسنك والله. يريد أحسنت

سحيم وعمر

وأنشد عمر ـــ رضي الله عنه ـــ يـاتيته فقال لو قلت شعرك مثل «كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا» لأعطيتك عليه، وقيل إنه قال : لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك، قال : ما سعرت يريد : ما شعرت

النبي وسحيم

كان أدرك النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ، وقد تمثل بشيء من شعره يروى أنه تمثل : «كفى بالشيب والإسلام للمرء ناهيا» فقال أبوبكر : إنما هو «كفى الشيب والإسلام،» فأعادها النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ كالأول فقال أبوبكر : أشهد إنك لرسول الله «وما علمناه الشعر وما ينبغي له».

سحيم وعمر

ويقال إن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ سمعه ينشد :

فَلَقَدْ تَحَدَّرَ من جبين فتاتكم عرقٌ على ظهْر الفراشِ وَطِيبُ

فقال له : إنك مقتول .

كيف قتل سحيم :

.... فسقوه ـــ بنو الحسحاس ـــ الخمر ثم عرضوا عليه نسوة فلما مرت به التي كان يتهم بها، أهوى إليها فقتلوه.

خبر ابن حجر في الإصابة

ونقل ابن حجر في الإصابة خبراً غريباً في مقتله، أن امرأة من بني الحسحاس أسرها بعض اليهود فاستخلصها لنفسه، وجعلها في حصن له، فبلغ ذلك سحيم فأخذته الغيرة، فمازال يتحيل حتى تسور على اليهودي حصنه فقتله، وخلص المرأة فأوصلها إلى قومها، فلقيته يوماً فقالت له : يا سحيم والله لوددت أني قدرت على مكافأتك على تخليصي من اليهودي فقال لها : والله إنك لقادرة على ذلك، وعرّض لها بنفسها، فاستحيت وذهبت، ثم لقيته أخرى، وعرض لها بذلك فأطاعته وهويها وطفق يتغزل فيها، وكان اسمها سمية، ففطنوا له فقتلوه، خشية العار عليهم بسبب سمية. ٥١ .

وعلق الميمني : فهذا مما يخفف شناعة صنيعه.

رواية الخالديين

وروى الخالديان ص ١٥٣ : أنه لما أطال التشبيب بنساء قومه مثل قوله : «وهن بنات القوم إن يشعروا بنا» تآمر قومه في قتله، واجتمعوا لذلك في شرب لهم، وأحضروه معهم، وكان شجاعاً رامياً، وكان له قوس لا يفارقها، ولا يقدر أن يوترها غيره، فلما أخذ فيهم الشراب قال له بعضهم: يا سحيم، أراك تقطع وتر قوسك هذه إن شددت بها كتافاً ؟ قال : نعم قالوا له : حتى ننظر. فأمكنهم من نفسه حتى أوثقوه بالوتر : قالوا له : اقطع، فانتحى فيه فلم يقطعه. فحين رأوا ذلك وثبوا عليه بالخشب فضربوه حتى كادوا يقتلونه، ثم تعاذلوا في أمره، وتركوه رحمة له. فمرت به امرأة من نسائهم وهو مكتوف، فنظر إليها وقال، وهم يسمعون :

فإن تضحكي مني فيارب ليلة تركتك فيها كالقباء المفرج

ملاحظة : إلى هنا ينتهي كلام الميمني في مقدمة الديوان

روايات أخرى في مقتل سحيم :

١ ــ وذكر محمد بن حبيب في كتاب من قتل من الشعراء أن سحيماً كان صاحب تغزل فاتهمه مولاه بابنته، فجلس له في مكان إذا رعى سحيم قال[1] فيه، فلما اضطجع تنفس الصعداء ثم قال[2] :

يــا ذكــرةً مــالكَ في الحاضر تذكرهُــــا وأنت في الصادر
مــن كُــلِّ بــيضاءَ لها كعــثبٌ مثــلُ سنــامِ البَكــرةِ المائــرِ

فقال له سيده، وظهر من موضعه الذي كان كمن فيه : مالك ؟ فلجلج في نطقه، فلما رجع وهم على قتله خرجت إليه صاحبته فحدثته وأخبرته بما يراد به، فقام ينفض برده، ويعفي أثره، فلما انطلق به ليقتل ضحكت امرأة كان بينه وبينها شيء فقال :

إن تضحكي مِنّــي فيــاربَّ ليلــةٍ تَرَكــتُك فيها كالقبــاءِ المُفَــرَّجِ

فلما قدم ليقتل قال :

شُدُّوا وثــاق العبــد لا يَغْلبكُــمُ إنَّ الحيــاةَ مــن الممــاتِ قــريبُ
فَلَقَــد تحدَّرَّ مــن جــبين فتاتكــم عــرقٌ علىٰ ظهْــرِ الفــراش وطــيبُ

فقتل ــ انتهى

(خزانة الأدب ١ : ٢٧٤)

٢ ــ في سمط اللآلىء ٧٢٠ ــ ٧٢١

... فاشتراه ابن معبد، فكان كما قال عثمان : شبب ببنته عميرة وفحش فشهرها فحّرقهُ بالنار (وفي الحاشية قتل ثم أحرق)

رأي القدماء في شعره

١ ــ ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ص ١٧١ ــ ١٧٢

---

(١) نام

(٢) في خزانة الأدب تصحيف والتصحيح من الديوان ص ٣٤، والكعثب : فرج المرأة والبكرة : الناقة

الطبقة التاسعة:
أربعة رهط
والرابع عبد بني الحسحاس، وهو حلو الشعر رقيق حواشي الكلام
(ص ١٨٧ — ١٨٨)

٢ — رأي ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٣٦٩ (الترجمة ٦٥)
وكان حبشياً مُعَلَّطاً[١] قبيحاً ....
وكان شاعراً محسناً

وأضاف ابن قتيبة :
ومما أخذ عليه في شعره قوله: وذكر التقاءه وعشيقته:
فمازال بُردي طَيِّباً من ثيابها إلى الحَوْلِ حتّى أنهج البردُ باليا[٢]
وقال آخرون :
هذا التوهم لفرط العشق، وهو نحو قول الأعرابي حين قيل له : ما بلغ من حبك لها فقال : إني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف، فأجد من ذكرها ريح المسك .

٣ — رأي ابن الأعرابي[٣]:

أورد بعض أبيات القصيدة اليائية التي منها هذا البيت وكان يسمى القصيدة «الديباج الخسرواني»

٤ — المفضل الضبي[٤] :

القصيدة — اليائية — كان المفضل الضبي يسميها «الديباج الخسرواني»

---

(١) معلطاً — بالعين المهملة — موسوماً بالعلاط — بكسر العين وتخفيف اللام — وهو خطوط تجعل سمة في عرض عنق البعير. والظاهر أنه استعمل هنا في الخطوط التي يصنعها بعض الناس في وجوهم.
(٢) أنهج : رث وبلى
(٣) الهامش رقم ٤ في الشعر والشعراء ص ٣٦٩
(٤) هامش حرف (ب) في ديوان سحيم ص ١٦

رأيي في شعر سحيم

١ ـ أعتبر شعر سحيم حلقة وصل بين غزل امرىء القيس وغزل عمر بن أبي ربيعة وهكذا تتسلسل مدرسة الغزل المكشوف :

أ ـ امرؤ القيس ب ـ سحيم عبد بن الحسحاس ج ـ عمر بن أبي ربيعة

وأكتفي للدلالة على ذلك ببيتين :

قال سحيم[١] :

نُعَفِّي بآثارِ الثياب مبيتنا ونلقُطُ رَفْضاً من جُمانٍ تَحَطَّما

وقال عمر[٢] :

فقامَتْ تُعَفِّي بالرداء مكاننا وتطلبُ شَذْراً من جُمانٍ مُبَدَّدِ

وكلتا الصورتين واحدة .

٢ ـ بلغ سحيم في شعره مستوى رفيعاً من الأسلوب الجزل مع محافظته على الرقة والحلاوة، مما دعا عالمين عربيين كبيرين كابن الأعرابي والمفضل الضبي إلى إطلاق صفة (الديباج الخسرواني) على قصيدته اليائية ـ وليست أحسن قصائده ـ ولعل مما يثير العجب أن يبلغ سحيم ـ وهو العبد الحبشي ـ هذا المستوى الراقي، وكأنه بذلك يمهد الطريق لعدد غير قليل من الشعراء من الفرس والروم الذي بلغوا مرتبة عالية في البيان والشعر .

أشعار سحيم قبل قتله

لم يحفظ لنا ديوان سحيم قصيدة كاملة قبل موته، وإنما هي أبيات متناثرة في الديوان قال بعضها وهو محبوس وقال بعضها عند قتله .

---

(١) الديوان : ٣٥ وروى (فضاً) بدل (رفضاً) وهما العقد المتناثر

(٢) الديوان : ٤٨٢

قال سحيم وهو محبوس[1] :

فـإنْ تَحـبْسوني تَحبْسُوا ذا وليـدةٍ وإن تُطْلقُـوني تُطلقـوا أسداً ورْدا[2]

ومـا الحَبْسُ إلا ظلُّ بَيْتٍ سكنتـهُ وما الجلدُ إلا جلـدةٌ قـارنتْ جلد

وقال[3] :

إن تقتلُوني فَقَـدْ أسخـنتُ أعينكُـمْ وقـد أتـيتُ حرامـاً مـا تَظنُّونـا

وقـد ضمـمتُ إلى الأحشاء جاريـةً عـذبٌ مُقبلُهـا ممّـا تصونونـا

وقال[4] :

إن تَقتلـوني تَقتلـوني وقـد جـرىٰ لها عَـرَقٌ فـوقَ الفـراشِ ومـاءُ

وقال[5] :

شُدّوا وَثـاقَ العبـدِ لا يَفْلُتكُـمُ إنَّ الحيـاةَ مـن الممـات قـريبُ

فلقـد تَحَـدَّر مـنْ جبيـنِ فتاتكُـمْ عَـرَقٌ على ظهـر الفـراشِ وِطـيبُ

ملاحظة : ألاحظ في هذه الأبيات التي قالها سحيم في حبسه وقبل قتله أنه يحافظ على عزة نفسه، بل إنه يتحدى سجانيه ويعيرهم بقتله، ويثير غضبهم وغيرتهم بذكر علاقته بنسائهم .

❊❊❊

---

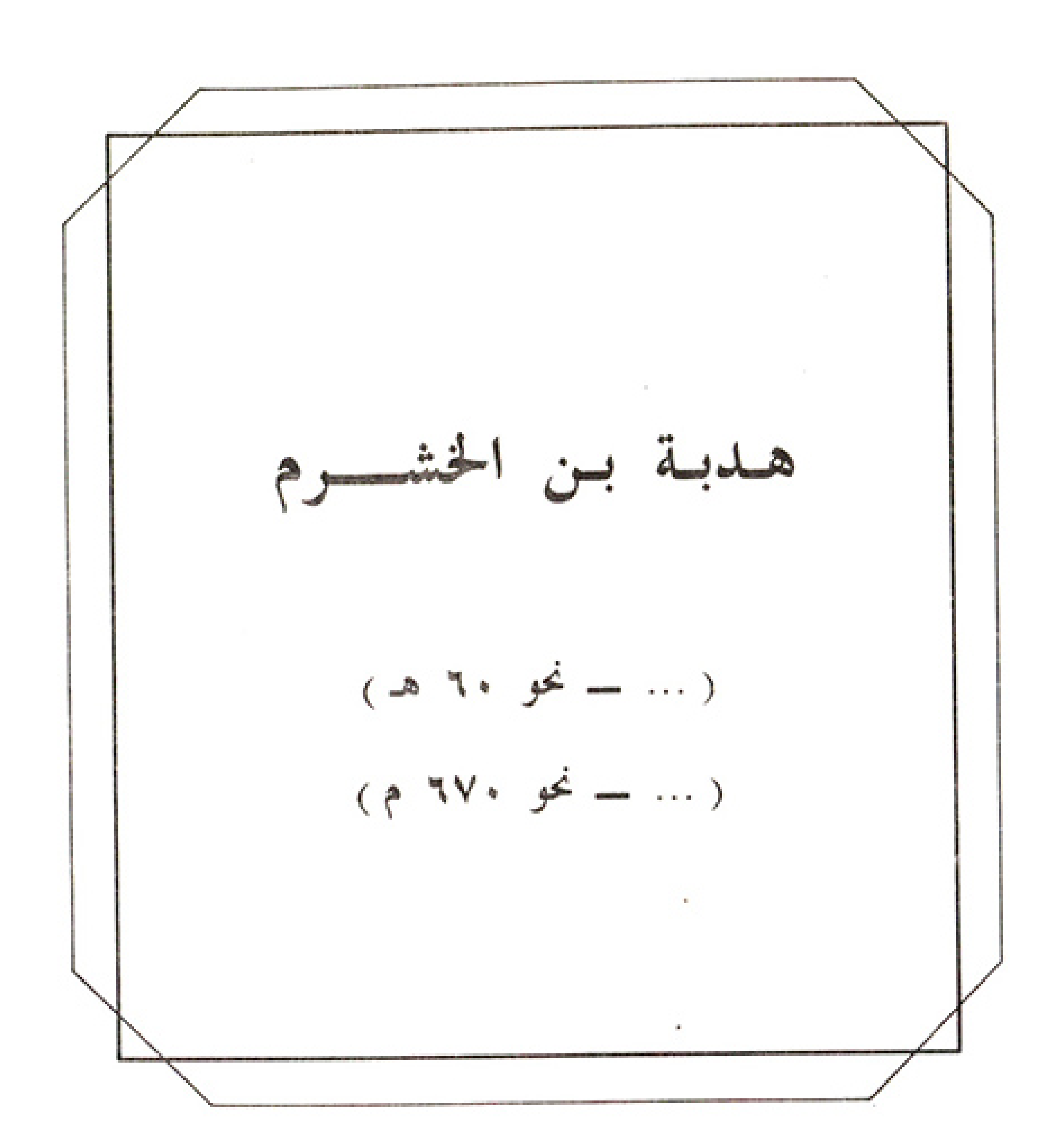
(١) الديوان ــ ٥٧

(٢) ذو وليدة : ابن وليدة وولد أمة. الورد : الأحمر صفة للأسد

(٣) الديوان : ٥٩

(٤) الديوان : ٦٠

(٥) الديوان : ٦٠



هدبة بن الخشـــرم

(... ـ نحو ٦٠ هـ)

(... ـ نحو ٦٧٠ م)

المصـــادر

١	الأغاني	٢١ : ٢٥٣ ... ٢٧٤
٢	الشعر والشعراء	٦٧١ ــ ٦٧٦
٣	حماسة أبي تمام	٤٧٢
٤	حماسة البحتري	٢٤/٩٩/.....
٥	المغتالون	١ : ٢٥٦
٦	المحبر	٣٩٠/٣٩٧
٧	معجم الشعراء	٤٦٠
٨	الحيوان	٧ : ١٥٥
٩	الكامل	في مواضع كثيرة
١٠	الزهرة	١٨٢ ....
١١	شرح شواهد المغني	٢٧٤ ــ ٢٨٠ / ٤٤٣ ــ ٤٤٤
١٢	الحماسة البصرية	١ : ٤٤
١٣	خزانة الأدب	٤ : ٨١ ....
١٤	حماسة ابن الشجري	٥٥/٢٢٧/٤٧٤

مصدر هام مفقود

جاء في الفهرست لابن النديم في أخبار الزبير بن بكار (ص ١٦٧) أن للزبير بن بكار كتاب (أخبار هدبة) وهو، ويا للأسف، كتاب مفقود ولو عثرنا عليه لكان فيه خير كثير .

نسبه

هو هُدبَةَ بن خَشْرَم، من عُذرة

وكان له ثلاثة أخوه كلهم شعراء : حَوط وسيحان والواسع

وأمهم حَيَّة بنت أبي بكر ... وكانت شاعرة أيضاً

وكان يكنى أبا سليمان(*)

كان راوية للشعر

١ ــ كان هدبة راوية للحطيئة

٢ ــ وكان الحطيئة راوية لكعب بن زهير

٣ ــ وكان جميل بثينة راوية لهدبة بن الخشرم.

٤ ــ وكان كثير عزة راوية جميل.

النزاع بينه وبين زيادة بن زيد :

اصطحب هدبة وزيادة وهما مقبلان من الشام في ركب من قومهما، فكانا يتعاقبان السوق بالإبل، ومع هدبة اخته فاطمة فنزل زيادة فارتجز فقال :

(١) عُوجي علينا واربعي فاطما ما بينَ أن يُرى البعيرُ قائما

(٢) ألا ترين الدمعَ مني ساجما حذار دار منك أنْ تُلائما

(٣) فَعَرّجتْ مطرِّداً عراهما فعماً يبذُّ القطف الرواسما

(٤) كأنّ في المثناةِ منه عائما إنك والله لأن تباغما

(٥) خوداً كأن البوص والمآكما منها نقاً مخالطٌ صَرائما

(٦) خيرٌ من استقبالك السّمائما ومن مناد تبتغي معاكما

فغضب هدبة حين سمع زيادة يرجز بأخته، فنزل فرجز بأخت زيادة، وكانت تدعى أم خازم وقيل : أم قاسم فقال :

(*) معجم الشعراء ٤٦٠

(١) ما بين أن يرى البعير قائما : أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه

(٣) مطرد : متتابع السير. عراهم : شديد. فعم : ضخم. الرسيم : سير فوق العنق. الرواسم : الإبل التي تسير هذا السير.

(٤) المثناة : الزمام. عائم : سابح. تباغم : تتكلم.

(٥) البوص : العجز. المآكم : ج مأكمة. وهما مأكمتان عن يمين العجز وشماله. النقا : ما عظم من الرمل. والصرائم : دون ذلك

(٦) معاكما : يعبنك على عكمك (العكم : المتاع والرحل) حتى تشده.

(١) لقد أراني والغلامَ الحازما نُزجي المطيّ ضُمَّراً سَواهِما
(٢) متى تقولُ القلص الرواسما والجلَّةَ الناجية العياهما[١]
(٣) يبلغنَ أمَّ قاسمٍ وقاسما إذا هبطن مُسْتحيراً قاتما
(٤) ورفع الحادي لها الهماهما ألا تريـنَ الحزن مني دائما
(٥) حذار دار منك أن تلائما **والله لا يشفي الفؤاد الهائما**
(٦) تماسُحُكَ اللبات والمآكما ولا اللحامُ دون أن تلازما
(٧) ولا اللثامُ قبل أن تفاقما وتعلو القوائمُ القوائما[٢]

زيادة يهاجم هدبة ويجرحه

قال : فشتمه زيادة وشتمه هدبة وتسابا طويلاً فصاح بهما القوم : اركبا ــ لاحملكما الله ــ فإنا قوم حجاج. وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه. وهدبة أشدهما حنقا، لأنه رأى أن زيادة قد ضامه إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله، وكانت أخت زيادة غائبة. فمضيا ولم يتحاورا بكلمة حتى قضيا حجهما ورجعا إلى عشائرهما.

فلما وصلا إلى ديارهما جمع زيادة رهطاً من أهل بيته، فبيت هدبة فضربه على ساعده وشج أباه خشرماً. وقال زيادة في ذلك :

(١) شجَجْنا خشرماً في الرأسِ عشراً ووقَّفنا هديبةَ إذْ هجانا[٣]
(٢) تركنا بالعُوينِد مِنْ حسينٍ نساءً يلتقطن به الجُمانا[٤]

فقال هدبة :

(١) فإنّ الدهر مؤتَنفٌ جديدٌ وشرُّ الخيل أقصرُها عنانا
(٢) وشرُّ الناسِ كلُّ فتى إذا ما مَرَتْهُ الحربُ بعد العصْب لانا[٥]

هدبة يقتل زيادة :

فلم يزل هدبة يطلب غرة من زيادة، حتى أصابها، فبيته فقتله، وتنحى مخافة

(١) تقول القلص : أورده النحويون شاهداً على اعمال القول اعمال الظن. العياهم : الشداد
(٢) تفاقم : تزيد وتكثر.
(٣) وقفنا : من التوقيف في اليدين والرجلين، وهو سواد وبياض يكون فيهما
(٤) العويند وحسين : موضعان
(٥) العصب : بسكون الصاد : القهر

السلطان. وعلى المدينة يومئذ سعيد ابن العاص فأرسل إلى عم هدبة وأهله فحبسهم في المدينة، فلما بلغ ذلك هدبة أقبل حتى أمكن من نفسه وتخلص عمه وأهله، فلم يزل محبوساً حتى شخص عبدالرحمن بن زيد، أخو زيادة، إلى معاوية وأورد كتابه على سعيد بن العاص بأن يقيد منه إذا قامت البينة عليه، فسأله سعيد البينة فأقامها :

هدبة بن الخشرم عند معاوية :

كره سعيد بن العاص أن يحكم بين عبدالرحمن بن زيد وهدبة بن الخشرم فحملهما إلى معاوية، فلما صارا بين يديه قال له معاوية : قل يا هدبة قال : إن شئت أن أقص عليك قصتنا كلاماً أو شعراً فعلت. قال : بل شعراً فقال هدبة ارتجالاً:

(١) ألا يا لقومي للنوائبِ والدّهر وللمرءِ يُردي نفسه وهو لا يدري

(٢) وللأرض كمْ من صالحٍ قد تأكَّمَتْ عليه فوارتْه بلمّاعَةٍ قفر[1]

(٣) فلا تتَّقي ذا هيبةٍ في جلالهِ ولا ذا ضياعٍ، هنَّ يتركْنَ للفقر

(٤) رُمينا فراميْنا فصادف رمينا منايا رجال في كتابٍ وفي قَدْر

(٥) وأنت أمير المؤمنين فمالنا وراءَك من معدىً ولا عنك من قصْر

(٦) فإن تكُ في أموالنا لم نضقْ بها ذراعاً، وإن صبْرٌ فنصبرُ للصَّبرِ

فقال له معاوية : أراك قد أقررت يا هدبة فقال له عبدالرحمن : أقدني فكره ذلك معاوية وضن بهدبة عن القتل فقال : ألزيادة ولد ؟ قال : نعم أصغير أم كبير ؟ قال : بل صغير. قال يحبس هدبة إلى أن يبلغ ابن زيادة فأرسله إلى المدينة فحبس بها سبع سنين وقيل ثلاث سنين .

عبدالرحمن بن زيد، أخو زيادة، يأبى الدية

مشت قبيلة عذرة إلى عبدالرحمن، وسألوه قبول الدية، فامتنع من ذلك وقال :

أنختم علينا كلكل الحرب مَرّةً فنحنُ منيخوها عليكم بكَلْكِلِ

فلا يَدْعُني قومي لزيد بن مالك لئنْ لِمْ أعجِّلْ ضربةً أو أُعَجَّلِ

وسأله سعيد بن العاص، والي المدينة أن يقبل الدية منه وقال :

---

(١) تأكمت : صارت أكمة

أعطيك مائة ناقة حمراء ليس فيها جداء[1] ولا ذات داء فقال :

والله لو نقيت لي مجلسك هذا ثم ملأتة ذهباً ما رضيت به من هذا وقال :

تَعَزَّى عن زيادة كلُّ مولى خليّ لا تأوّبُه الهمومُ
وكيف تجلد الأذنيْن عنُه ولمُ يقْتُلُ به الثأر المنيمُ[2]
ولو كنتُ المصابَ وكان حيّا لشمّر لا ألفٌ ولا سؤومُ
ولا هيابة بالليل نكسٌ ولا ورعٌ إذا يلقى جَثومُ[3]

فدفع سعيد إليه هدبة موثقاً بالحديد.

مقتل بطل

هنا تبدأ قصة قتل هدبة، وهي قصة تختلط فيها الحقيقة بالزخرفة، والواقع بالخيال، بل إن الخيال يمتد إلى ما بعد قتل هدبة، ومهما يكن من أمر فإن هدبة مات بطلاً لا يبالي بالموت، بل كان يسير إليه، وهو يرفل في مشيته، وكان ينظم الشعر، وهو يساق إلى القتل.

دفع سعيد إلى عبدالرحمن بن زيد سجينه هدبة بن الخشرم موثقاً بالحديد فقال هدبة:

فإن تقتلوني في الحديد فإنني قتلت أخاكم مطلقاً لم يقيد

فقال عبدالرحمن : لا والله لا قتلته إلا مطلقاً فأطلق.

ولما ذهب به إلى الحرة ليقتله اعترضه عبدالرحمن بن حسان، وهو يرفل إلى الموت، فقال: ما هذا يا هدب ؟ قال : لا آتي إلى الموت إلا شدا.

قال : أنشدني. قال: على هذا من الحال. قال : نعم فأنشده:

ولستُ بمفراحٍ إذ الدّهرُ سَرّني ولا جازعٍ من صَرْفه المتقلبِ
ولا أتبغّى الشَّرّ والشَّرُّ تاركي ولكنْ متى أُحْملْ على الشرّ أركَبِ
وحَرَّبني مولاي حتى خشيته متى ما يُحَرّبك ابنُ عمك تحْربِ

ولما جيء به ليقتل قال :

ألا علّلاني قبلَ نوح النوائح وقبل ارتقاء النفسِ فوق الجوانح

(١) جداء : قليلة اللبن

(٢) تأوبه : تعتاده وتراجعه

(٣) النكس : الضعيف المقصر. الجبان. الجثوم : الذي يلصق بالأرض. وهو الأرنب

وقبلَ غدٍ ياهف نفسي على غدٍ إذا راحَ أصحابي ولستُ برائحِ
إذا راح أصحابي تفيض عيونُهم وغُودرتُ في لحدٍ عليَّ صفائحي
يقولون : هلْ أصلحتم لأخيكمُ وما القبرُ في الأرض الفضاء بصالحِ

ونظر إلى امرأته، وكانت من أجمل النساء، وكان أنفه قد جدع في حرب فقال :

فإن كانَ أنفي بان منه جمالهُ فما حسبي في الصالحينَ بأجْدَعا
أقلّي عليَّ اللومَ يا أم بَوْزعا ولا تجزعي مما أصاب فأوجعا
ولا تنكحي إن فرَّق الدهرُ بيننا أغمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا(١)
كليلاً سوى ما كان حَدّ ضرسه أكيبد مبطانَ العشيات أروعا(٢)
ضروباً بلحْيَيْهِ على عظم زوْره إذا الناس هشُّوا للفعال تقنَّعا(٣)
وحُلّي بذي أكرومةٍ وحميةٍ وصبر إذا ما الدهرُ عَضّ فأسرعا
وكُوني حبيساً أو لأروعَ ما جدٍ إذا ضنّ أعشاش الرجال تبرّعا(٤)

فسألت امرأته الناس أن يمهلوه قليلاً ثم أتت جزاراً فأخذت منه مدية فجدعت أنفها، ثم أتته مجدوعة الأنف فقال : أهذا فعل من له في الرجال حاجة ؟ فقال: الآن طاب الموت .

وقال النوفلي عن أبيه (الأغاني ٢١ : ٢٧٠) :

إنها فعلت ذلك بحضرة مروان ــ والي المدينة ــ وقالت له:

إن لهدبة عندي وديعة، فأمهله حتى آتيه بها. قال: أسرعي، فإن الناس قد كثروا، وكان جلس لهم بارزا عن داره، فمضت إلى السوق، فانتهت إلى قصاب وقالت: أعطني شفرتك، وخذ هذين الدرهمين، وأنا أردها عليك، ففعل، فقربت من حائط وأرسلت ملحفتها على وجهها، ثم جدعت أنفها من أصله، وقطعت شفتيها، وأقبلت حتى دخلت بين الناس وقالت:
يا هدبة. أتراني متزوجة بعدما ترى ؟ قال: لا، الآن طابت نفسي بعد بالموت.

---

(١) الأنزع : من انحسر شعره عن جبينه وقفاه
(٢) الكليل : الضعيف العزم. ما كان من حد ضرسه : إلا في الأكل . الأكيبد : المصاب في كبده. أروع : جبان في هذا البيت من الروع
(٣) اللحيان : الفكان. هشوا : فرحوا بالمكارم. تقنع : غطى وجهه
(٤) الأروع هنا : الماجد الكريم من الروعة. أعشاش الرجال : بخلاء الناس

ومر هدبة بحبى ــ وهي امرأة اشتهرت بالحب ــ فقالت:

كنت أعدك من الفتيان، وقد زهدت فيك اليوم، لأني لا أنكر أن يصبر الرجال على الموت. ولكن كيف تصبر عن هذه ــ وأشارت إلى زوجته ــ فقال:

ــ أما والله إن حبي لها لشديد، وإن شئت لأصفن لك ذلك، ووقف الناس معه فقال:

وجدتُ بها ما لم تجدْ أمُّ واحدٍ ولا وجدَ حُبّي بابن أم كلابِ
رأتهُ طويل الساعدين شمردلاً كما تشتهي منْ قوةٍ وشباب[1]

فانقمعت داخل بيتها فأغلقت الباب دونه. وفي رواية أخرى: مر بهدبة على حبى، فقالت له: في سبيل الله شبابك وجلدك وشعرك وكرمك فقال هدبة:

تعجب حبى من أسير مكبل صليب العصا باق على الرسفان[2]
فلا تعجبي مني حليلة مالك كذلك يأتي الدهر بالحدثان

ثم خرج يرسف في قيوده، فإذا هو بأبويه يتوقعان الثكل، فهما بسوء حال. فأقبل عليهما وقال:

أبلياني اليومَ صَبراً منكما إنَّ حُزنا منكما اليومَ لشرْ
ما أظن الموت إلا هيّناً إنّ بعدَ الموت دار المستقرْ
إصبرا اليومَ فإني صابرٌ كُلُّ حَيّ لفناءٍ وقدرْ

ثم قال:

أذا العرشِ إني عائذٌ بك مؤمنٌ مُقرٌّ بزلاتي إليك فقيرُ
وإنّي وإن قالوا: أميرٌ مسلَّطٌ وحجابُ أبواب لهنَّ صريرُ
لأعلمُ أنّ الأمرَ أمرُكَ إن تدنْ فَرَبّ، وإن تغفرْ فأنت غفورُ

قالوا: وقام إليه عبدالرحمن بن زيد، وهز السيف ثم قال:

قد علمتْ نفسي وأنت تعلمه لأقتلنَّ اليومَ منْ لا أرحمهْ

ثم قتله.

ويقال إن الذي تولى قتل هدبة المسور بن زيادة، دفع إليه عمه السيف وقال له:

---

(١) الشمردل : الجميل

(٢) الرسفان : مشي المقيد في قيوده

ـ اقتل قاتل أبيك

قالوا : فاستأذن هدبة في أن يصلي ركعتين، فأذن له، فصلاهما وخفف، ثم التفت إلى من حضر فقال:

لولا أن يظنّ بي الجزع لأطلتهما، فقد كنت محتاجاً إلى إطالتهما ثم أقبل على المسور بن زيادة فقال:

ـ أثبت قدميك، وأجد الضربة، فإني أيتمتك صغيراً، وأرملت امّك شابة

فقام زيادة فضربه ضربتين قتله فيهما

هدبة بعد الموت:

قال هدبة لأهله قبل موته:

إنه بلغني أن القتيل يعقل ساعة بعد سقوط رأسه، فإن عقلت فإني قابض رجلي وباسطها ثلاثاً، ففعل ذلك حين قتل.

وهكذا ينتهي قتل هدبة بن الخشرم بأسطورة بعد أن أحيط بكثير من الزخرف.

واسع بن الخشرم يرثي أخاه هدبة لما قتل ويقول:

(١) يا هدبُ يا خيرَ فتيان العشيرة مَنْ يفجع بمثلكَ في الدنيا فقد فجعا

(٢) اللهُ يعلمُ أنـيّ لـو خشيتهُـمُ أو أوجس القلبُ من خوفٍ لهُمْ جزعا

(٣) لم يقتلوه ولم أُسْلِمْ أخـي لهم حتـى نعـيش جميعـاً أو نموت معـا

وهذه الأبيات تمثل بها إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، ـ رضي الله عنه ـ لما بلغه قتل أخيه محمد

أم هدبة كانت شاعرة:

قالت أم هدبة فيه لما شخص إلى المدينة فحبس بها:

(١) أيا إخوْتي أهل المدينةِ أكْرمـوا أسيركـمُ إن الأسيـرَ كريـمُ

(٢) فربَّ كـريم قـد قـراه وضافـه وربَّ أمـورٍ كُلُّهُـنَّ عظيـمُ

(٣) عَصى جُلُّها يوماً عليه فـراضه مـنَ القـومِ عيـافٌ أشمُّ حليـمُ

شعره :

حظي شعر ابن الخشرم بعناية الرواة والعلماء والنحويين؛ فاستشهد النحاة بشعره في أكثر من موضع.

جاء في الأغاني (الدار) ٢١ : ٢٧٣.

..... حدثني مصعب الزبيري :

كنا بالمدينة، أهل البيوتات، إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدبة وزيادة وأشعارهما ازدريناه، وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما ونعجب بها.

وجاء في موضع آخر من الصفحة نفسها :

كان هدبة أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى أن أقيد منه وقال (٢١ : ٢٥٤

وهدبة شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز

وقال المرزباني في معجم الشعراء : ص ٤٦٠

وهو شاعر مفلق، كثير الأمثال في شعره

ويبدو أنه نظم كثيراً من الشعر في سجنه الطويل، بل نظم كثيراً من الشعر وهو يساق إلى القتل، وقل أن نجد من يملك من نفسه وشجاعته لينظم كل هذا الشعر في هذا الموقف.

ويتميز شعره في سجنه وقتله :

١ ــ بقوة النفس واستقبال السجن والقتل في شجاعة.

٢ ــ عدم التذلل والخضوع في التماس عفو سجانيه وقتلته

٣ ــ البوح الصادق والنجوى العميقة التي يخلو فيها إلى نفسه وإلى زوجه

ذكر الأصفهاني أن شعر هدبة بن الخشرم كان مما يغنى به، وقد ذكر لنا موضعين غنى بها المغنون بشعر هدبة.

١ ــ الجزء ٢١ : ص ٢٥٣

صــوت

ألا يـا لقومـي للنــوائب والدهــر وللمرء يُردي نـفسه وهـو لا يـدري

وللأرض كَمْ منْ صالحٍ قد تـوأدتْ عليــه فوارتــهْ بلماعــةٍ قفــر[1]

لشعر لهدبة بن الخشرم، والغناء لمعبد. ثقيل أول باطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق

٢ ــ الجزء ٢١ : ٢٦٧

(١) توأدت : قد تلأمت عليه أي وارته ويروى : تأكمت أي صارت أكمة

صـوت

فلَمْ تَـرَ عينـي مثـلَ سرب رأيتُـه خرجنَ علينا من زقاق ابـن واقـف[٢]
تَضَمَّخْن بـالجاديِّ حتّـى كـأنما الـ أنـوفُ إذا استَعْرَضتَهُـن رواعـفُ[٣]
خرجـنَ بأعنـاقِ الظِّبـاء وأعين الـ جآزر وأْرتـجّت لهُـنَّ السوالـف[٤]
فلـو أنّ شيئـاً صاد شيئـاً بطرفـه لصدْن ظبـاءً فوقهُـنَّ المطـارفُ

(الشعر لهدبة) غنى فيه الغريض، رملاً بالبنصر، من رواية حبش، وفيه لحن خفيف ثقيل وذكر إسحاق أن فيه لحناً ليونس، ولم يذكر طريقته في مجرده.

قصيدته في رثاء نفسه قبل الموت

تمهيد(*) :

اختلفت المصادر في عدد أبيات القصيدة، ومن أجمع هذه المصادر

١ ــ القالي في الأمالي وتقع في ١٥ بيتاً

٢ ــ حماسة ابن الشجري وتقع في ١٩ بيتاً

٣ ــ خزانة البغدادي وتقع في ٢٤ بيتاً

وقد جمع بين أبيات القالي وابن الشجري واخترنا رواية الخزانة :

قال هدبة بن خشرم وهو في الحبس :

(١) طربت وأنت أحياناً طـروبُ وكيـفَ وقـد تعـلاَّك المشيبُ
(٢) يُجِدُّ النأْيُ ذكـرك في فـؤادي إذا ذهـلَتْ على النـأْيِ القلـوبُ
(٣) يؤرقنـي اكتئـاب أبي نميـرٍ فقلبـي مـن كآبتـه كئـيبُ
(٤) فقلتُ له : هـداك اللهُ مهلاً وخيـرُ القـول ذو اللّب المصيبُ
(٥) عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيه يكـونُ وراءَه فَـرَجٌ قـريبُ

(٢) في البيت أقواء.

(٣) الجادي : الزعفران.

(٤) السوالف : ج سالفة، وهي جانب العنق.

(*) الأبيات متفاوتة العدد في القالي ١ : ٧٢ والحماسة الشجرية ٢٢٧ والسمط ٢٤٩ والخزانة ٤ : ٨٢ ــ ٨٣ والعيني ٢ : ١٨٤ والسيوطي ٥٦ و ١٥٢ والمرزباني ٤٨٣ والعقد ٣ : ١٨٢ والبحتري ٢٢٤ والحماسة البصرية ٤٤ ــ ٤٥ وأمالي المرتضى ٢ : ٢٢٢ ..... ويخاطب بها ابن عمه ابانمير، وكان معه في السجن.

(١) ويروى : وقد تغشاك بدل (وقد تعلاك) والمعنى واحد.

(٦) فيأمن خائف ويفكّ عان ويأتي أهله الرجلُ الغريبُ
(٧) ألا ليت الرياحَ مسخراتٌ بحاجتنا تباكرُ أو تؤوبُ
(٨) فتخبرنا الشّمالُ إذا أتتْنا وتخبر أهلنا عنّا الجنوبُ
(٩) فإنا قد حللنا دارَ بلوْى فتخطئُنا المنايا أو تصيبُ
(١٠) فإن بك صَدْرُ هذا اليومِ ولّى فإنَّ غداً لناظره قريبُ
(١١) وقد علمتْ سُليمي أنَّ عودي على الحَدَثان ذو أيْدٍ صَليبُ
(١٢) وأن خليقتي كرمٌ وأني إذا أبدتْ نواجذها الحروبُ
(١٣) أعين على مكارمها وأغْشى مكارهها إذا كَعَّ الهَيوبُ
(١٤) وقد أبقى الحوادث منك رُكْناً صليباً ما تؤيِّسُهُ الخطوبُ
(١٥) على أنَّ المنية قد توافي لوقتٍ، والنوائب قدْ تنوبُ
(١٦) وأنّي في العظائم ذو غناءٍ وأُدْعى للفعال فأستجيب
(١٧) وأنّي لا يخافُ الغدرَ جاري ولا يخشى غوائلي الغريبُ
(١٨) وكمْ من صاحب قد بان عنّي رُميت بفقده وهو الحبيبُ
(١٩) فلم أُبْد الذي تحنو ضلوعي عليه، وإنّني لأنا الكئيبُ
(٢٠) مخافة أن يراني مستكيناً عدوٌّ أو يساء به قريبُ
(٢١) ويشمت كاشحٌ ويظنَّ أنّي جزوعٌ عند نائبة تنوبُ
(٢٢) فبعدك سدّت الأعداء طرْقاً إليَّ ورابني دهرٌ يريبُ
(٢٣) وأنكرتُ الزمان وكُلَّ أهلي وهرّتني لغَيْبتكَ الكليبُ
(٢٤) وكنتَ تقطّعُ الأبصار دوني وإن وغرتْ من الغيظِ القلوبُ

---

(٦) العاني : الأسير
(١٢) التواجذ : الأنياب
(١٣) كع : جبن وضعف. الهيوب : الخائف
(١٤) تؤيسه : تضعفه
(١٧) الغوائل : الغدر والإساءة.
(٢٠) مستكيناً : خاضعاً
(٢١) الكاشح : المبغض المعادي
(٢٣) الكليب : جمع كلب مثل العبيد جمع عبد
(٢٤) الوغر :الحقد والضغن يقال : وغر صدره إذا توقد من الغيظ

مالك بن الريب

(... ـ نحو ٦٠ هـ)

(... ـ نحو ٦٨٠ م)

المصادر

مصادر مالك بن الريب كثيرة أهمها :

١ الأمالي ٣ : ١٣٥... والقصيدة تكاد تكون كاملة فيه.
٢ الأغاني (الدار) ٢٢ : ٢٨٥ ــ ٣٠١
٣ أنساب الأشراف ٥ : ١٢٠
٤ البيان والتبيين ٣ : ٣٧
٥ تاريخ الطبري ٦ : ١٧١
٦ حماسة أبي تمام (المرزوقي) : ٣٦٢ / ٨٩٢
٧ حماسة أبي عبادة البحتري : ٨ / ٣٩
٨ حماسة ابن الشجري : ٢٢ / ٥١ / ٧٣
٩ خزانة الأدب ١ : ٣٧٨ / ٢ : ٣٠٣ / ٣ : ١٧٦ / ٤ : ٥١٩
١٠ الشعر والشعراء ٣٥٤ ــ ٣٥٥
١١ العقد الفريد ٢ : ١٥٩
١٢ معجم البلدان (جمران) / حمران / الحوش / غاف / الغميم / الذحل / سنام / طاس / الرقمتان / السمينة / الطبسان / الغضا / مرو / الشبيكة / المثل / رحا المثل / بولان / خراسان...
١٣ معجم ما استعجم : في أماكن كثيرة تشترك مع أماكن معجم البلدان
١٤ الأعلام
١٥ شعراء أمويون : القسم الأول.
١٦ أشعار اللصوص وأخبارهم ج ٢ : ٢٤٧ ــ ٢٩٧
..... ومصادر كثيرة أخرى.

منزلته :

ما أظن شاعراً بلغ من المنزلة ما بلغها مالك بن الريب، وقد أسهمت قصيدته اليائية التى رثى بها نفسه إسهاماً بعيداً في شهرته...

نسبه :

مالك بن الريب بن حوط، من قبيلة مازن ثم من بني تميم.

حياته وعصره :

ذكر صاحب الأعلام في ترجمة مالك أنه توفي نحو عام ٦٠ هـ و ٦٨٠ م. ولم يذكر تاريخ ولادته، وأخمن أنه لم يتجاوز خمسين سنة حين مات. فهو إذن من شعراء بني أمية، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان على الخصوص.

سيماؤه :

ذكر صاحب الأغاني أن مالكاً كان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم ثياباً. وأن سعيد بن عثمان بن عفان أعجبه لما رآه.

لصوصيته :

كان مالك من أشهر لصوص العرب، ويحدد مالك أسباب قطعه للطريق بقوله لسعيد بن عثمان حين سأله :

- ما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العيث والفساد ؟

فأجاب مالك :

- يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات، ومكافأة الإخوان.

في بادية بني تميم والبحرين :

بدأ مالك بن الريب حياته في اللصوصية والفتك في بادية بني تميم، فكان يقطع

الطريق هو وأصحاب له... فساموا الناس شراً وطلبهم مروان بن الحكم وهو عامل على المدينة فهربوا، فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحي يطلبهم فهربوا منه... فبعث إليه الحارث رجلاً من الانصار فأخذه، وأخذ صاحبه أبا حردبة، فبعث بأبي حردبة، وتخلف الانصاري مع القوم الذين كان مالك فيهم، وأمر غلاماً له فجعل يسوق مالكاً، فتغفل مالك غلام الانصاري، وعليه السيف، فانتزعه منه وقتله به، وشد على الأنصاري فضربه بالسيف حتى قتله وجعل يقتل من كان معه يمينا وشمالاً.

ثم لحق بأبي حردبة فتخلصه وركبا إبل الأنصاري وخرجا فراراً من ذلك هاربين حتى أتيا البحرين، واجتمع أصحابهما إليهما، ثم قطعوا الطريق إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالك، فلم يزل بفارس حتى قدم عليه سعيد ابن عثمان فاستصحبه.

في خراسان :

استعمل معاوية بن أبي سفيان سعيد بن عثمان بن عفان على خراسان(١)، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس، فلقيه مالك بن الريب المازني، وكان من أجمل الناس وجها. وأحسنهم ثيابا، فلما رآه سعيد أعجبه وقال له :

ـ مالَكَ ويحك، تفسد نفسك بقطع الطريق ؟ وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العيث والفساد، وفيك هذا الفضل ؟ قال :

ـ يدعوني إليه العجز عن المعالي ومساواة ذوي المروءات، ومكافأة الإخوان. قال سعيد : فإن أنا أغنيتك واستصحبتك أتكف عما تفعل ؟

قال مالك : ـ أي والله أيها الأمير. أكف كفاً لم يكف أحد أحسن منه. فاستصحبه سعيد وأجرى له خمسمائة درهم في كل شهر.

اشتراكه في الفتوح ومرضه :

شهد مالك فتح سمرقند، وتنسَّك، وأقام بعد عزل سعيد، فمرض في مرو وقيل

---

(١) في اسم الوالي الذي عفا عن مالك واستصحبه خلاف (انظر المرزباني)

بل طعن فسقط وهو بآخر رمق.

قصة القصيدة :

أحس مالك بالموت، وهو مريض، فقال قصيدته المشهورة في رثاء نفسه :

ألا ليتَ شِعري، هـلْ أبيتَـنَّ ليلـةً بوادي الغَضا، أُزْجِي القلاص النواجيا

وتختلف بعد ذلك الروايات حول هذه القصيدة :

١ ــ الرأي الأول يرى أنها كلها له.

٢ ــ الرأي الثاني ويراه أبو عبيدة معمر بن المثنى حين قال :

إن الذي قاله مالك من القصيدة ثلاثة عشر بيتاً، أما سائرها فمنحول عليه.

٣ ــ الرأي الثالث، وهو رأي يميل إلى الأسطورة يقول : بل مات في خان فرثته الجان لما رأت من غربته ووحدته، ووضعت الجن الصحيفة التي فيها القصيدة تحت رأسه.

وهكذا تنتهي حياة الشاعر بأسطورة طريفة.

القصيدة :

جاء في معجم البلدان : (أبو شهر) قال السكري في خبر مالك بن الريب : فلم ينل منه (من سعيد بن عثمان) مما وعده به شيئاً، واتبع ذلك بجفوة، فترك سعيداً وقفل راجعاً، فلما كان بأبو شهر، وهي نيسابور، مرض فقيل له : ما تشتهي ؟ فقال :

ـ أشتهي أن أنام بين الغضا وأسمع حنينه، أو أرى سهيلاً (نجما يطلع من ناحية اليمن)، وأخذ يرثي نفسه :

(١) ألا ليتَ شِعري هلْ أبيتَنَّ ليلةً بجنبِ الغَضا، أُزْجي القلاصَ النواجيا

(٢) فليتَ الغَضا لم يقطعِ الركبُ عرضَه وليتَ الغَضا ماشى الركابَ لياليا

(١) الغضا : شجر ينبت في الرمل، أزجي : أسوق، القلاص النواجيا : النوق السريعة

(٢) ليت الغضا طال فلم يقطعه الركب، أو ليته مشى معه.

(٣) وليتَ الغضا يومَ ارتحلنا تقاصرتْ بطول الغَضا حتى أرىٰ مَنْ ورائيـ

(٤) لقد كانَ في أهلِ الغضا لو دَنا الغضا مـزارُ ولكـنَّ الـغضا لـيسَ دانيـ

(٥) أَلَمْ تَرَني بعتُ الضلالةَ بالهُدى وأصبحتُ في جيشِ ابنِ عفانَ غازيـ

(٦) وأصبحتُ في أرضِ الأعاديّ بعدَما أرانـي عـن أرضِ الأعـاديّ نائيـ

(٧) دعاني الهوىٰ مِنْ أهلِ أُودَ وصُحبتي بـذي الطَبَسيْـنِ فالتَـفَتُّ ورائيـ

(٨) أجبتُ الهوىٰ لما دَعاني بز فرةٍ تَقَنَّـعْتُ منها ــ أنْ ألامَ ــ رِدائيـ

(٩) أقولُ ــ وقد حالت قُرى الكُردِ بيننا : جَزىٰ اللهُ عَمْراً خيرَ ما كانَ جازيـ

(١٠) إنِ اللهِ يُرْجِعْني من الغزوِ لا أُرىٰ ــ وإنْ قَلَّ مالي ــ طالباً ما ورائيـ

(١١) تقولُ ابنتي لما رأتْ وشكَ رِحلتي : سفـارُك هـذا تارِكـي لا أباليـا

(١٢) لعمري لَئِنْ غالتْ خراسانُ هامتي لقدْ كنتُ عن بابَيْ خراسانَ نائيا

(١٣) فإنْ أنجُ من بابَيْ خراسانَ لا أعُدْ إليها وإن مَنَّيْتُمـوني الأمَانيـا

(١٤) فلِلّـهِ دَرّي حين أتركُ طائعـاً بنـيَّ بأعلـىٰ الرَقْمتيـنِ وماليـا

(١٥) ودَرُّ الظّبـاء السانحاتِ عشيـةً يُخَبِّـرْنَ أنّـي هـالكٌ مـن وَرائيـا

(١٦) ودَرُّ كبيريَّ اللذيـنِ كِـلاهما علـيَّ شفيـقٌ نـاصحٌ لَـوْ نَهانِيـا

(١٧) ودَرُّ الرجالِ الشاهدينَ تَفَتُّكِـي بِأمـرِيَ ألا يُـقْصِرُوا مـن وثاقيـا

(١٨) ودَرُّ الهوىٰ من حيثُ يَدعو صحابتي ودَرُّ لَجاجـاتي ودَرُّ انتهائيـا

(١٩) تذكرتُ مَنْ يبكي عليَّ فلَمْ أجِدْ سوى السيفِ والرمحِ الردينّي باكيا

(٢٠) وأشقَـر محبـوكٍ يَجُـرُّ لجامَـه إلى الماءِ لم يَتْـركْ لـه الموتُ ساقيـا

(٢١) يُقَادُ ذليلاً بعد مـا مـاتَ ربُّـه يبـاعُ بِبَخْسٍ بعدَ مـا كانَ غاليـا

(٢٢) ولكنْ بأكنافِ السُمَيْنَةِ نسوةٌ عزيـزٌ علـيهِنّ العشيـةَ مـا بِيـا

(٢٣) صريعٌ على أيدي الرجالِ بقَفْرةٍ يَسَوُّون لَحدي حيثُ حُـمَّ قَضائيـا

---

(٥) بعد ما كنت فيه من الفتك والضلال صرت في جيش سعيد بن عثمان

ملاحظة : أكثر تفسير الأبيات من كتاب الأمالي لعلي بن القالي ٣ : ١٣٥ ....

(٧) أود ــ بضم الهمزة ــ قال البكري : موضع ببلاد مازن والطبسان : كورتان بخراسان يقول : دعاني الهوى وتشوقي في هذا المكان إلى أصحابي في مكان آخر بعيد.

(٨) لما ذكرت ذلك الوضع بكيت فاستحييت فتقنعت بردائي لكي لا يرى أصحابي بكائي.

(١٢) غالت خراسان هامتي : أهلكتني.

(٣) السمينة : موضع قريب من أود المذكور (٢٣) حم : حل ودنا

(٢٤) ولما تراءتْ عندَ مَروٍ مَنِيَّتي وخَلَّ بها جِسمي وحانتْ وَفاتيا
(٢٥) أقولُ لأصحابي ارفعُوني فإنَّه يَقَرُّ بعيني أنْ سهيلٌ بدا لِيا
(٢٦) فيا صاحِبَيْ رَحلي دنا الموتُ فانزلا برابيةٍ، إني مقيمٌ لياليا
(٢٧) أقيما عليَّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ ولا تُعْجلاني، قد تَبَيَّنَ شانيا
(٢٨) وقوما إذا ما استُلَّ رُوحي فهيِّئا لي السِّدرَ والأكفانَ عندَ فَنائيا
(٢٩) وخُطّا بأطرافِ الأسِنَّةِ مَضْجَعي وَرُدَّا على عينَيَّ فضلَ ردائِيا
(٣٠) ولاَ تَحْسُداني ــ باركَ اللهُ فيكُما ــ من الأرضِ ذاتِ العرضِ أنْ توسِعاليا
(٣١) خُذاني فَجُرّاني بثوبي إليكما فقدْ كنتُ قبلَ اليوم صَعباً قياديا
(٣٢) وقد كنتُ عَطّافاً إذا الخيلُ أدبرتْ سريعاً لدٰى الهيجا إلى منْ دَعانيا
(٣٣) وقد كنتُ صبّاراً على القرنِ في الوغى ثقيلاً على الأعدَاء عَضْباً لِسانيا
(٣٤) وقد كنتُ محموداً على الزادِ والقِرى وعن شتمي ابنَ العَمّ والجارَ وانيا
(٣٥) فَطَوْرا تَراني في ظلالٍ ونِعمةٍ وطوراً تَراني، والعتاقُ رِكابيا
(٣٦) ويوماً تراني في رَحىً مستديرةٍ تُخَرِّقُ أطرافُ الرماحِ ثيابيا
(٣٧) وقُوما على بئرِ السُّمينةِ أسْمِعا بها الغُرَّ والبيضَ الحسانَ الروانيا
(٣٨) بأنّكُما خَلَّفْتُماني بقفرةٍ تهيلُ عليَّ الريحُ فيها السَّوافيا
(٣٩) ولا تَنسيا عَهدي خليليَّ بعدما تَقَطَّعُ أوصالي وتَبلىٰ عِظاميا
(٤٠) ولن يعدمَ الوالونَ بثّاً يصيبهُم ولن يعدمَ الميراثَ منّي المواليا
(٤١) يقولون : لا تَبْعدْ، وهُمْ يَدفِنونني وأينَ مكانُ البعدِ إلاّ مكانيا ؟
(٤٢) غداةَ غدٍ يا لهفَ نفسي على غدٍ إذا أدْلَجُوا عَنّي وأصبحتُ ثاويا
(٤٣) وأصبحَ مالِي مِن طريفٍ وتالدٍ لِغيري، وكانَ المالُ بالأمسِ ماليا
(٤٤) فيا ليتَ شِعري هَلْ تغيرتِ الرحا رَحا المُثْلِ أو أمْست بِفَلْجٍ كما هيا

---

(٢٤) مرو : مدينة بخراسان ــ خل : ضعف

(٢٥) يريد أن سهيلاً ــ وهو نجم يبدو في اليمن ــ لا يرى بخراسان فارفعاني لعلي أراه فتقر عيني برؤية بلادي.

(٣٢) أكر على أعدائي في الحرب إذا أدبر الفرسان.

(٣٤) وانيا : مقصراً.

(٣٦) الرحى المستديرة : ميدان المعركة (٤٠) نصيب أصدقائي الحزن علي ونصيب أقربائي وراثة مالي.

(٤٢) أدجلوا : ساروا ليلا. (٤٤) المثل : بضم الميم وسكون الثاء : موضع نعلج ــ فلج : موضع في بلاد بني مازن.

(٤٥) إذا الحيُّ حَلُّوها جميعاً وأنزلوا بها بَقَراً حُمَّ العيونِ سواجيا
(٤٦) رَعَيْنَ، وقد كادَ الظلامُ يُجنُّها يَسُفْنَ الخُزامى مرةً والأقاحيا
(٤٧) وهل أتركُ العيسَ العوالي بالضُّحى بركبانِها تعلُو المِتانَ الفيافيا
(٤٨) إذا عُصَبُ الركبانِ بينَ عُنَيْزَةٍ وبولانَ عاجوا المبقياتِ النواجيا
(٤٩) فيا ليتَ شِعري هل بكتْ أمُّ مالكٍ ؟ كما كنتُ لو عَالوا نعيَّكِ باكيا
(٥٠) إذا متُّ فاعتادي القبورَ وسَلِّمي على الرّمسِ أُسْقيتِ السحابَ الغواديا
(٥١) على جَدَثٍ قد جرَّتِ الريحُ فوقَه تراباً كَسَحْقِ المَرْنُبانِيّ هابيا
(٥٢) رهينةُ أحجارٍ وتُرْبٍ تَضَمَّنَت قرارتُها مِنّي العظامَ البواليا
(٥٣) فيا صاحِبي، إما عرضتَ فَبَلِّغَنْ بني مازنٍ والريبَ أن لا تلاقِيا
(٥٤) وعَرِّ قَلوصي في الركابِ فإنَّها ستَفْلِقُ أكباداً وتُبكي بواكيا
(٥٥) وأبصرتُ نارَ المازنياتِ مَوْهِنا بعلياءَ يُثْنى دونها الطرفُ رانيا
(٥٦) بعودٍ ألنجوجٍ أضاء وقودُها مهاً في ظلالِ السّدر حُوراً جَوازيا
(٥٧) غريبٌ بُعيد الدارِ ثاوٍ بقفرةٍ يدَ الدهرِ معروفاً بأنْ لا تدانيا
(٥٨) تَحَمَّلَ أصحابي عشاءً وغادَرُوا أخاثقةٍ في عَرْصةِ الدارِ ثاويا
(٥٩) أُقَلِّبُ طَرفي حولَ رَحلي فلا أرى به من عيونِ المؤنساتِ مُراعيا
(٦٠) وبالرّملِ منا نسوةٌ لو شَهِدْنَني يكينَ وفَدَّيْنَ الطبيبَ المداويا
(٦١) وما كان عَهْد الرَّملِ عندي وأهلِه ذَميماً ولا وَدَّعْتُ بالرَّمْلِ قاليا
(٦٢) فَمِنْهُنَّ أُمّي وابنتايَ وخالَتي وباكيةٌ أخرى تهيجُ البواكيا

⚜⚜⚜

---

(٤٦) الخزامى : زهرة أطيب الأزهار نفحة ــ (٤٧) العيس : الابل ــ العوالي : العالية ــ المتان : ج متن ما صلب من الأرض.

(٤٨) عنيزة : قارة سوداء ــ المبقيات : التي تبقي سيرها ــ النواجي : التي تنجو أي تسرع في سيرها.

(٥١) المرنباني : كساء من خز ويقال : مطرف من وبر الابل ــ هابيا : من هبا يهبو أي ثار

(٥٢) رهينة أحجار : أي في القبر، علي الترب والحجارة (٥٦) ألنجوج : شجر طيب الرائحة ــ مها : غزلان ــ جوازي : رانيات.

(٥٧) يد الدهر : مدى الدهر (٦١) قاليا : كارها.

(٦٢) باكية أخرى تهيج البواكيا : يريد زوجته.

مُـرَّة بـن محكــان

(.... ـ ٧٠ هـ)
(.... ـ ٦٩٠ م)

مصـــادره

١ ــ الأغاني (الدار) ٢٢ : ٣٢٠ ــ ٣٢٥

٢ ــ معجم الشعراء ٢٩٥/٢٩٦/٣٨٣

٣ ــ معجم مقاييس اللغة ٣ : ٩٢

٤ ــ الحماسة شرح المرزوقي ١٥٩٢

٥ ــ الشعر والشعراء ٦٦٧

٦ ــ الحيوان ٢ : ٣٥٢

٧ ــ الكامل ١ : ١٣٦

٨ ــ خزانة الأدب ٢ : ١٧٣

٩ ــ حماسة البحتري ٢٣٨

١٠ ــ مجموعة المعاني ١٩٠

١١ ــ أمالي المرتضى ١ : ٩٥

١٢ ــ عيون الأخبار ٣ : ٢٦٣

١٣ ــ الطبري ٦ : ١٥٢ ــ ١٥٦

١٤ ــ أشعار اللصوص وأخبارهم ١ : ١١٩

نسبه

هو مرة بن محكان ـــ قال أبوالفرج ـــ ولم يقع لنا باقي نسبه ـــ أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

أخباره

كان مرة بن محكان شريفاً جواداً، وهو أحد من حبس في المناحرة والاطعام. قال أبوالفرج نقلاً عن المدائني.

كان مرة بن محكان سخياً، وكان أبوالبكراء يوائمه في الشرف، وهما جميعاً من بني الرُّبَيْع، فأنهب مرة بن محكان ماله الناس فحبسه عبيدالله بن زياد. فقال في ذلك الأبيرد الرياحي:

حـبست كـريماً أن يجود بمالـــه سعى في ثأى من قومه متفاقـم[1]
كـأن دمـاء القـوم إذ علقـوا بــه على مكفهـر مــن ثنايـا المخارم[2]
فإن أنت عاقبت ابن محكان في الندى فعاقب ـــ هداك الله ـــ أعظم حاتم

قال : فأطلقه عبيدالله بن زياد، فذبح أبوالبكراء مائة شاة فنحر مرة بن محكان مثلها

هل كان مرة بن محكان لصاً ؟

أكثر القدماء لا يذكرون مرة بن محكان في اللصوص، وقد انفرد بنسبته إليهم المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٩٥ ـــ ٢٩٦ حين قال

(مرة بن محكان من بني عبيد أحد اللصوص ...)

وفي مجموعة المعاني ص ١٩٠ ورد بيتان لمرة بن محكان من قصيدته اليائية ضمن أشعار اللصوص دون نسبة.

وفي هامش كتاب شرح الحماسة للمرزوقي يستغرب المحققان : أحمد أمين وعبدالسلام هارون ما قاله المرزباني منه فقالا:

---

(١) الثأى : الاختلال والفساد والنقص

(٢) المخارم : ج مخرم، وهو أنف الجبل.

(ومن عجب أن يقول المرزباني، إنه أحد اللصوص، وقال قتيبة : كان مرة سيد بني ربيع.)

شـــعره

قال صاحب الأغاني يذكر مرة :

شاعر مقل إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وكان في عصر جرير والفرزدق فأخملا ذكره لنباهتهما في الشعر.

وقصيدة مرة في الأضياف التي مطلعها :

أقـولُ والضيــفُ مَــخْشِيٌّ ذمامتُــه على الكريم، وحَقُّ الضيفِ قَدْ وجبا

يا رَبّةَ البيتِ قُومي غيرَ صاغـرةٍ ضُمـيّ إليك رحالَ القومِ والقُرَبا

هذه القصيدة ـــ التي يخاطب بها امرأته ـــ من عيون الشعر العربي

الغناء بشعر مرة :

ذكر أبوالفرج في الأغاني أن شعر مرة كان يغنى به، ولا سيما بقصيدته البائية، وقد اشترك في الغناء بها ابن سريج ومعبد والغريض وأبوالعبيس وعرفان المغنية قال الراوي فاندفعت عرفان فغنت:

يا ربةَ البيت قومي غيرَ صاغـرةٍ ضُمـيّ إليك رحال القومِ والقُرَبا

قال : فما سمعت غناء قط أحسن مما سمعته من غنائها يومئذ.

مقتله

كان الحارث بن أبي ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه رجل من بني تميم ـــ يقال له : مرة بن محكان ـــ رجلاً فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مرة بن محكان يقول :

أحـار تَثَبَّتْ في الـقضاءِ فإنّـه إذا ما إمامٌ جارَ في الحكمِ أقصدا

وإنّكَ موقـوفٌ على الحُكْم فاحتفـظْ ومَهْما تصبْهُ اليومُ تـدركْ بـهِ غـدا

فإنّـي مّما أدرك الأمـرَ بـالأنى وأقطـعُ في رأسِ الأميـرِ المُهَنّـدا[1]

---

(١) الأنى : الحلم والأناة.

فلما ولي مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات فقال :
أما والله لأقطعن السيف في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي، وأمر به فحبس ثم دس إليه من قتله
ويزيد الطبري (٦ : ١٥٢ ــ ١٥٦) الخبر تفصيلاً فيذكر قاتل مرة قال :

وبعث مصعب بن الزبير، خداش بن يزيد الأسدي في طلب من هرب من أصحاب خالد (بن عبدالله بن خالد بن أسيد) فأدرك مرة بن محكان، فأخذه فقال مرة (الأبيات ...) فقربه خداش فقتله، وكان خداش على شرطة مصعب يومئذ وأضاف ابن قتيبة خبراً آخر فقال :
ولا عقب له .
أقول: وهذا شاعر كلفه بيت من الشعر حياته .

مقطوعة مرة بن محكان قبل قتله

قال مرة، وقد أمر مصعب بن الزبير رجلاً من بني أسد بن خزيمة بقتله :

(١) بني أسدٍ إنْ تقتلوني تُحاربـوا تميمـاً إذا الحربُ العَـوان اشْمَعَـلَّتِ
(٢) بني أسدٍ هَلْ فيكم مـنْ هـوادةٍ فَتعفـونَ، إنْ كانتْ بي النعـلُ زلت
(٣) فلا يحسب الأعداءُ إذْ غبتُ عنهم وأُوريت معنـاً أَنّ حَـرْبي كـلَّت
(٤) تمشّى خـداشٌ في الأسكـةِ آمنا وقـد نهلتْ منـي الرمـاحُ وعَـلَّتِ
(٥) ولستُ ــ وإن كانتْ إليّ حبيبةً ــ ببـاكٍ على الدنيـا إذا مـا تـولَّتِ

❦❦❦

(١) العوان : الحروب التي قوتل فيها مرة واحدة على وزن سحاب. اشمعلت : ثارت فأسرعت.
(٣) أوريت : لعلها بمعنى حبست من وارى يوارى بالمبني للمجهول. معن : لعله سجن لمصعب
(٤) يمشي خداش في الطرقات آمنا، وأنا في السجن أسير مقيد معذب
(٥) هذا التركيب في التقديم والتأخير من أروع ما عرفت في الشعر العربي.

جعفر بن عُلبة

(... ـ ١٢٥ هـ)

(... ـ ٧٤٣ م)

المصـــادر

١ الأغاني : (الدار) ١٣ : ٤٤ ـــ ٥٦

٢ عيون الأخبار ١ : ١٩٣

٣ حماسة أبي تمام (المرزوقي) ٣٥٦ ـــ ٣٥٧

٤ الحماسة البصرية ١ : ٤٦ / ٢ : ١٢٥

٥ الوحشيات : ٢٣

٦ خزانة الأدب : ٤ : ٣١٩ ـــ ٣٢٣

٧ معاهد التنصيص : ٤٣

٨ معجم البلدان : (قرى)

المصادر الحديثة

١ الأعلام:

٢ أشعار اللصوص وأخبارهم الترجمة رقم ٤١

نسبه :

جعفر بن علبة بن ربيعة بن عبد يغوث الشاعر، أسير يوم الكلاب، بن صلاءة .... وقد مرت ترجمته وقصيدته في أول هذا الكتاب.

قبيلته

بنو الحارث

عصره :

من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وجاء في الأعلام سنة وفاته (... ــ ١٢٥ هـ) ؟ و (... ــ ٧٤٣ م) ؟

أبوه وأمه :

علبة بن ربيعة، وكان شاعراً أيضاً، وكذلك كانت أمه ورثى علبة ابنه جعفر بن علبة، كما حرضت أمه أباه على نجدته.

جده :

عبد يغوث، وقد مر بنا أنه رثى نفسه قبل قتله بقصيدته المشهورة :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللومِ خيرٌ ولا ليا

(راجع ترجمته)

أسرته :

كان متزوجاً وله ولد يكنى به وهو عارم، وقد ذكره في شعره .

أخباره

كان جعفر بن علبة يشرب الخمر، وقد شرب مرة فسكر فأخذه السلطان فحبسه، فأنشد يقول في حبسه :

لقدْ زَعموا أني سكرتُ ورُبَّما يكونُ الفتى سكرانَ وهْو حليمُ

ثم حبس معه رجل من قومه بني الحارث في ذلك الحبس، وكان يقال له (دوران) فقال جعفر :

١ إذا بابُ دورانٍ تَرَنَّم في الدُّجى وشُدَّ بأغلاقٍ علينا وأقفالِ
٢ وأظلم ليلٌ قامَ علجٌ بجُلْجُلٍ يدورُ به حتى الصباح بإعمالِ
٣ وحُراسُ سَوْءٍ ما ينامُونَ حولَه فكيف لمظلومٍ بحيلة محتالِ
٤ ويصبرُ فيه ذُو الشجاعةِ والندّى على الذُّلّ للمأمور والعلجِ والوالي

النزاع بين جعفر بن علبة وبني عُقَيل :

ذكر أبوالفرج الأصبهاني في الأغاني ثلاث روايات فيها اختلاف أدت إلى النزاع بين جعفر وبني عقيل ثم إلى قتله.

الرواية الأولى : وهي رواية أبي عمرو الشيباني :

خرج جعفر بن علبة وعلي بن جعدب الحارثي القناني والنضر بن مضارب المعاوي فأغاروا على بني عقيل، وأن بني عقيل خرجوا في طلبهم وافترقوا عليهم في الطريق، ووضعوا عليهم الأرصاد على المضايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصبة لقيتهم أخرى حتى أنتهوا إلى بلاد بني نهد، فرجعت عنهم بنوعقيل، وقد كانوا قتلوا فيهم ....

الرواية الثانية : وهي رواية ابن الكلبي :

وذكر أن الذي هاج الحرب بين جعفر بن علبة وبني عقيل أن إياس بن يزيد الحارثي، وإسماعيل بن أحمر العقيلي اجتمعا عند أمة لشعيب بن صامت الحارثي، وهي في إبل لمولاها، في موضع يقال له : صمعر من بلاد بلحارث، فتحدثا عندها فمالت إلى العقيلي، فدخلتهما مؤاسفة حتى تخانقا بالعمائم، فانقطعت عمامة الحارثي، وخنقه العقيلي حتى صرعه؛... ثم تفرقا، وجاء العقيليون إلى الحارثيين فحكموهم فوهبوا لهم...

ثم بلغهم بيت قيل وهو :

أَلَمْ تسأل العبد الزّيادي ما رأى بصَعْمَرَ والعبدُ الزّياديُّ قائمُ

فغضب إياس من ذلك فلقي هو وابن عمه النضر بن مضارب ذلك العقيلي، وهو إسماعيل بن أحمد فشجه شجتين، وخنقه، فصار الحارثيون إلى العقيليين فحكموهم فوهبوا لهم. ثم لقي العقيليون جعفر بن علبة الحارثي، فأخذوه فضربوه وخنقوه وقادوه طويلاً ثم أطلقوه، وبلغ ذلك إياس بن يزيد فقال يتوجع لجعفر :

أبا عارمٍ كيفَ اغتررتَ ولم تَكُنْ تُغَرُّ، إذا ما كانَ أمرٌ تُحاذِرُهْ
فلا صُلْحَ حتّى يخفقَ السيفُ خَفْقةً بكفِّ فتى جرَّتْ عليهِ جَرائرُهْ

ثم إن جعفر بن علبة تبعهم، ومعه ابن أخيه جعدب والنضر بن مضارب وإياس بن يزيد، فلقوا المهدي بن عاصم وكعب بن محمد بجَّبر ــ وهو موضع بالقاعة ــ فضربوهما ضرباً مبرحاً، ثم انصرفوا فضلّوا عن الطريق، فوجدوا العقيليين، وهم تسعة فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلى لهم العقيليون الطريق، ثم مضوا حتى وجدوا من عقيل جمعاً آخر، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل جعفر بن علبة رجلاً من عقيل يقال له : خُشَيْنَة، فاستعدى العقيليون إبراهيم ابن هشام المخزومي، عامل مكة، فرفع الحارثيين الأربعة من نجران حتى حبسهم بمكة، ثم أفلت منهم رجل فخرج هارباً فأحضرت عقيل قسامة(١) حلفوا أن جعفر قتل صاحبهم فأقاده إبراهيم بن هشام ....

الرواية الثالثة

قال أبوالفرج :

ونسخت أيضاً خبره من كتاب للنضر بن حديد فخالف هاتين الروايتين وقال فيه :

كان جعفر بن علبة يزور نساءً من عقيل بن كعب، وكانوا متجاورين هم وبنو الحارث بن كعب، فأخذته عقيل، فكشفوا دبر قميصه، وربطوه إلى جُمته، وضربوه بالسياط، وكتّفوه، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث

---

(١) شهود يحلفون

إليهن، على تلك الحال ليغيظوه ويفضحوه عندهن فقال لهم :

ـــ يا قوم لا تفعلوا، فإن هذا الفعل مثلة، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم ألا أزور بيوتكم أبداً ولا ألجها. فلم يقبلوا منه فقال لهم :

ـــ فإن لم تفعلوا ذلك، فحسبكم ما قد مضى، ومنوا علي بالكف عني، فإني أعده نعمة لكم ويداً لا أكفرها أبداً أو فاقتلوني وأريحوني، فأكون رجلاً آذى قوماً في دارهم فقتلوه.

فلم يفعلوا وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ويضربونه ويغرون به سفهاءهم، حتى شفوا أنفسهم منه، ثم خلوا سبيله .

فلم تمض أيام قليلة حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له، فدفع راحلته حتى أولجها البيوت، ثم مضى فلما كان في نقرة من الرمل أناخ هو وصاحباه، وكانت عقيل أقفى خلق الله لأثر، فتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه، والعقيليون مغترون ليس مع أحد منهم عصا ولا سلاح، فوثب عليهم جعفر بن علبة وصاحباه بالسيوف فقتلوا منهم رجلاً وجرحوا آخر وافترقوا، فاستعدت عليهم عقيل السري ابن عبدالله الهاشمي، عامل المنصور على مكة، فأحضرهم وحبسهم، فأقاد من الجارح ودافع عن جعفر بن علبة ـــ وكان يحب أن يدرأ عنه الحد لخؤولة أبي العباس السفاح في بني الحارث ـــ إلى أن أقاموا عليه قسامة أنه قتل صاحبهم وتوعدوه بالخروج إلى أبي جعفر (المنصور) والتظلم إليه فحينئذ دعا بجعفر فأقاد منه، وأفلت علي بن جعدب من السجن فهرب. قال : وهو ابن أخي جعفر بن علبة.

رأيي في الروايات الثلاث

توقعنا الروايات الثلاث في إشكالات عديدة :

١ ـــ إذا صحت الرواية الثانية وأن قتل جعفر كان في ولاية إبراهيم بن هشام المخزومي فمعنى ذلك أنه كان شاعراً أموياً وليس من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية.

فقد كان إبراهيم بن هشام عاملاً منذ عام ١٠٦ ـــ إلى عام ١٢١، وقتل عام ١٢٥ هـ (انظر الطبري في أخبار سنوات ١٠٦ ـــ ١٢٥ هـ.)

٢ ــ إذا صحت الرواية الثالثة، وكان قتل جعفر في ولاية السري بن عبدالله الهاشمي، وقد كان والياً على مكة عام ١٤٣ (انظر الطبري أخبار سنة ١٤٣ هـ) فمعنى ذلك أنه كان من مخضرمي الدولتين، وذلك ما تنص عليه أكثر المصادر.

٣ ــ ولذلك فنحن نميل إلى الرواية الثالثة وأن قتل جعفر كان في الدولة العباسية في ولاية السري بن عبدالله الهاشمي على مكة .

٤ ــ وهكذا يتبين لنا أن تحديد قتل جعفر بن علبة عام ١٢٥ هـ ــ كما ورد في أعلام الزركلي ــ غير دقيق .

٥ ــ يتبين لنا من الرواية الأولى أن جعفر بن علبة هو الذي بدأ بالعدوان على بني عقيل بغارته عليهم ولكن يبدو من الروايتين الثانية والثالثة أن بني عقيل هم الذين اعتدوا عليه وضربوه ومثلوا به .

القسامة على جعفر كانت كاذبة :

عندما قال جعفر :

ولم أتّرك لي ريبة غير أنني ودِدتُ مُعاذا كانَ فيمنْ أتانيا

أراد : وددت أن معاذاً كان أتاني معهم فأقتله :

فقال معاذ يجيبه عنها بعد قتله ويخاطب أباه ويعرض أنه قتل ظلماً لأنهم أقاموا قسامة كاذبة عليه حين قتل. ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بعينه، إلا أن غيظهم على جعفر حملهم على أن ادعوا القتل عليه :

أبا جعفرٍ سَلِّب بنجرانَ واحْتَسِبْ أبا عارمٍ والمُسْمناتِ العواليا[1]

(الأبيات وأنظر الترجمة ٤١ من أشعار اللصوص وأخبارهم)

ويتبين من أبيات معاذ أن جعفر بن علبة قتل مظلوماً

---

(١) سلب : لبس ثياب الحداد السود. أبوعارم : كنيته جعفر بن علبة .

جعفر يستقبل الموت استقبال الأبطال :

لما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه

ـ أسقيك شربة من ماء بارد ؟

فقال له :

اسكت لا أم لك. إني إذن لمهياف(1)

وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه فقال :

أَشُدُّ قبـــال نـــعلي أنْ يـــرَاني عَـدُوّي للحـــوادثِ مُستكينـــا(2)

وكان الذي ضرب عنق جعفر بن علبة نحبة بن كليب، أخو المجنون، وهو أحد بني عامر بن عقيل فقال في ذلك :

١ شفى النفسَ ما قال ابنُ علبة جعفرٌ وقولي له: اصبْر، ليس ينفعُك الصبرُ

٢ هوىٰ رأسهُ من حيث كانَ كما هوى عُقـابٌ تدلّـى طالباً جـانبَ الوَكـرِ(3)

٣ أبـا عـارمٍ فينـا غُـرام وشدَّةٌ وبسْطَـةُ إيمانٍ سواعدُهـا شُعْـرُ

٤ هُمُ ضَربَوا بالسيف هامة جعفرٍ ولم يُنْجنـه بَـرٌّ عـريضٌ ولا بحُرُ

٥ وقُدْناهُ قـودَ البَكـرِ قسراً وعَنوةً إلى الـقبر حتّـى ضمَّ أثوابـه القبـرُ

(وفي هذه الأبيات من الشماتة بالقتيل ما فيها).

علبة يرثي ابنه :

قال علبة في رثاء ابنه جعفر :

١ لعمركَ إني يومُ أَسْلَمتُ جعفراً وأصحابَـهُ للمـوتِ لمَّـا أُقاتـلِ

٢ كمجتـلبِ حُبَّ المنايا، وإنمَّـا يهيـجُ المنايـا كـلّ حـق وباطـلِ

٣ فراح بهم قوْمٌ ولا قـومَ عندهُـمْ مُغَلّلَـــةً أيــديهمُ في السلاسلِ

---

(1) مهياف : الذي لا يصبر على العطش.

(2) قبال النعل : (بكسر القاف) شسع النعل.

(3) في البيت إقواء.

٤ ورُبَّ أخٍ لي غابَ لو كان شاهداً   رآه التباليـــون لي غير خـــاذِلِ[1]

وأم جعفر تلوم أباه على خذلاته :

قال علبة لامرأته أم جعفر قبل أن يقتل جعفر :

١ لعمركِ إنّ الليل يا أمَّ جعفـرٍ   عَلَـيّ ـ وإن عللتِنـي ـ لطويـلُ

٢ أحاذرُ أخباراً منَ القومِ قدْ دنتْ   ورَجْعـةَ أنقـاضٍ لَهُـنَّ ذَليـلُ

امرأة تكفن جعفر بن علبة

ذكر شداد بن إبراهيم أن بنتاً ليحيى بن زياد بن عبيدالله الحارثي، حضرت الموسم ذلك العام لما قتل جعفر، فكفنته واستجادت له الكفن وبكته وجميع من كان معها من جواريها وجعلن يندبنه بأبياته التي قالها قبل قتله :

أحقـاً عبـاد اللـه أن لستُ رائيـاً   صحـاريَّ نجدٍ والريـاحَ الذواريـا

فأجابته فقالت :

١ أبا جعفرٍ أَسْلَمْتَ للقومِ جعفراً   فَمُتْ كمـداً أو عشْ، وأنتَ ذَليـلُ

مأتم جعفر لا مثيل له في العرب :

لما قتل جعفر بن علبة قام نساء الحي يبكين عليه، وقام أبوه إلى كل ناقة وشاة فنحر أولادها وألقاها بين أيديها وقال :

ـ ابكين معنا على جعفر

فمازالت النوق ترغو، والشاء تثغو،والنساء يصحن ويبكين، وهو يبكي معهن، فمارئي يوم كان أوجع وأحرق مأتماً في العرب من يومئذ :

ديوان جعفر

يبدو أن ديوان جعفر كان مجموعاً، وأن هذا الديوان صنعه ثلاثة من العلماء والأدباء هم :

---

(١) التباليون : أهل تبالة في اليمن

١ ــ أبوعمرو الشيباني

٢ ــ والنضر بن الحديد

٣ ــ وابن الأعرابي.

كما يستدل من الأغاني (الدار : ١١ : ١٤٣ ــ ١٤٦ ــ ولكن هذه الدواوين الثلاثة لشعر جعفر ضاعت كلها فيما ضاع من تراثنا العربي.

الغناء بشعر جعفر

ورد في الأغاني صوت يغنى به من شعر جعفر وهو قوله :

عجبتُ لمسراها وأنّي تَخَلَّصَتْ إليَّ وبابُ السجن بالقفل مغْلَقُ
أَلَمَّتْ فحيَّتْ ثُمَّ قامتْ فَوَدَّعَتْ فلمّا تَوَلَّتْ كادت النفسُ تَزْهَقُ

وقال : الشعر لجعفر بن علبة، والغناء لمعبد ثقيل أول بالسبابة ...

قصيدتا جعفر بن علبة
وهو في سجنه قبل قتله

لجعفر بن علبة قصيدتان نظمهما في سجنه قبل قتله :

١ ــ قصيدة قافية مشهورة يذكر فيها زيارة حبيبته له قبل قتله، وأنها لم تكد تسلم حتى ودعته، ويذكر شجاعته في استقبال الموت، وأن حبها هو الذي يرهقه وهو سجين، كما كان يرهقه وهو طليق.

٢ ــ وقصيدة ثانية يائية نظمها قبل القصيدة القافية يفتخر فيها بشجاعته وانتصاره على بني عقيل وقتله لهم، ثم يذكر حنينه لدياره ورمالها ورياحها، وشوقه إلى نساء قبيلته من بني عامر ويطلب منهن البكاء عليه، وألا لقاء بعد اليوم، ويطلب تعطيل ناقته لتبكي عليه وتبكي الباكين وتضحك الشامتين، ثم يوصي أهله بابنه عارم ليكون مثله شجاعاً ويسد مكانه .

القصيدة الأولى

قال جعفر بن علبة، قبل أن يقتل، وهو محبوس(*) :

(١) هوايَ مع الركبِ اليمانينَ مُصْعِدٌ جنيبٌ، وجُثماني بمكةَ مُوثَقُ
(٢) عجبتُ لمَسْراها وأنّي تخلَّصَتْ إليَّ وبابُ السجن دوني مُغْلَقُ
(٣) أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثم قامَت فوَدَّعَتْ فلما تَوَلَّتْ كادت النفسُ تَزْهَقُ
(٤) فلا تحسبي أني تخشّعْتُ بعدَكُمْ لشيءٍ ولا أنّي من الموتِ أفرقُ
(٥) ولا أَنَّ قلبي يزْدهيه وعيدُهُم ولا أنّني بالمشي في القيد أخْرَقُ
(٦) وكيفَ وفي كفيٍّ حسامٌ مُذلَّقٌ يعضُّ بهامات الرّجال ويعلقُ
(٧) ولكنْ عَرَتْني من هواكِ صبابةٌ كما كنتُ ألقى منكِ إذْ أنا مطْلَقُ

القصيدة الثانية

وقال جعفر بن علبة قبل قتله ونلاحظ أنه نظم قصيدته على وزن وقافية قصيدة جده : عبد يغوث بن صلاءة (اقرأ الترجمة) بل إن بعض أبياتهما ومعانيهما متقاربة، فقد قال عبد يغوث :

أَحقّاً عباد اللهِ أنْ لستُ سامعاً نشيدَ الرعاءِ المُعزبين المتاليا

وقال جعفر :

أحقاً عبادَ اللهِ أن لِستُ رائياً صحاري نجدٍ والرياحَ الذّواريا

ولا شك أن المحنة واحدة وأن العواطف فيها والمشاعر فيها متشابهة.

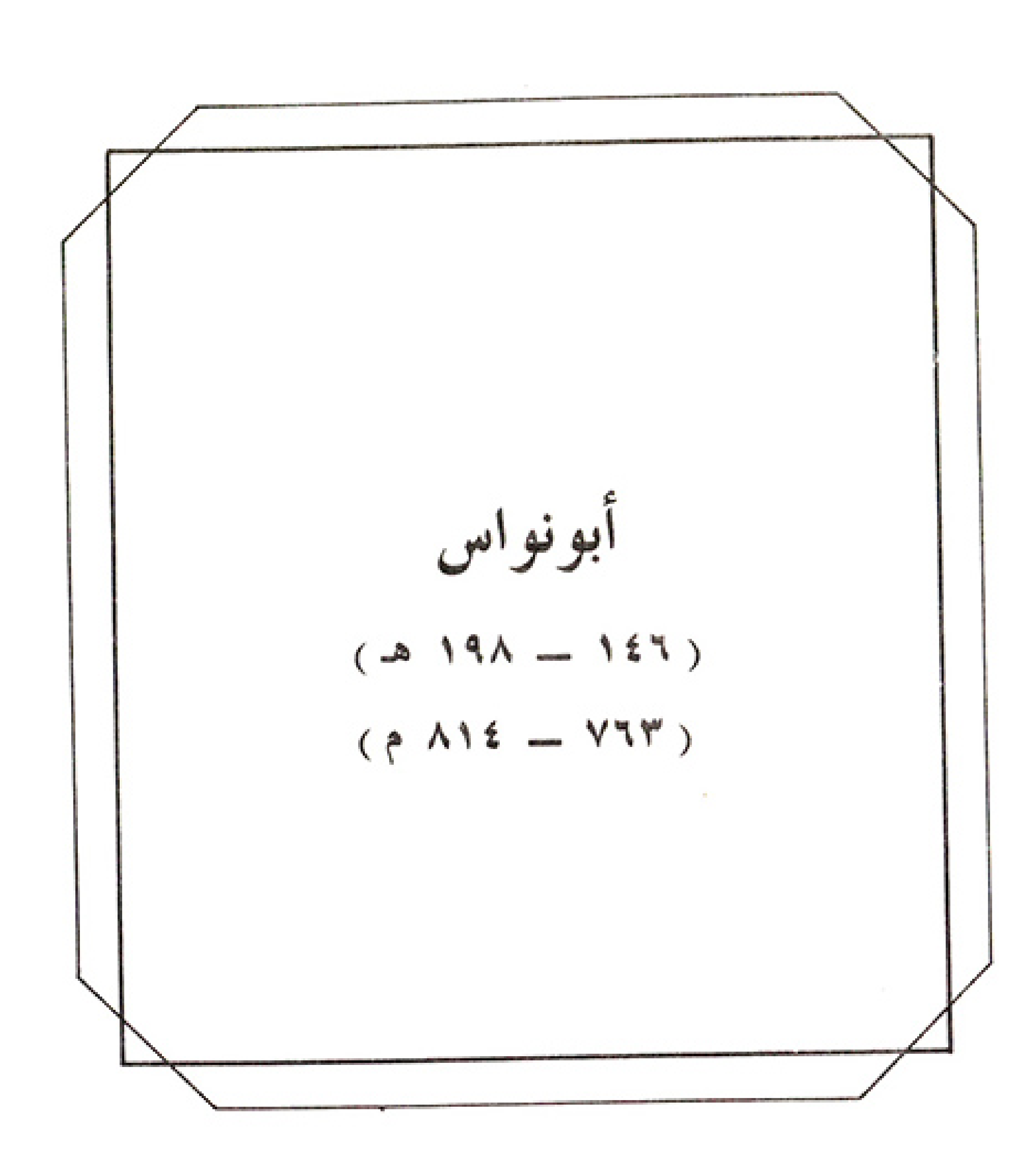
(*) التخريج : الأغاني (الدار) ١٣ : ٥١ والخزانة : ٤ : ٣١٩ ـ ٣٢١ وبعض الأبيات في الحماسة...
(١) مصعد وجنيب ماش إلى جانبكم.
(٢) أني هنا : كيف
(٤) أفرق : أخاف
(٥)يزدهيه : يرعبه ويستخفه
(٦) مذلق : قاطع مسنون. هامات : ج هامة : الرأس

قال جعفر(*) :

(١) ألا لا أبالي بعدَ يوْمي بسحبلٍ إذا لـمْ أُعَـذَّبْ أن يجيء حماميـا
(٢) تركتُ بأعلى سحبلٍ ومضيقهِ مـراقَ دمٍ لا يبرحُ الدهـرَ ثاويـا
(٣) شفيتُ به غيظي وجُرِّبَ موطني وكانَ سنـاءً آخـر الدهـرِ باقيـا
(٤) أرادوا ليثْنُوني فقلت: تَجَنَّبوا طريقي، فمالي حاجـةٌ مِـنْ ورائيـا
(٥) فدىً لبني عَمٍ أجابُوا لدعوتي شَفَوْا من بني القرعـاء عمّـي وخاليا
(٦) كأنَّ بني القرعـاء يـوم لقيتهُـم فـراخُ القطـا لاقيـنَ صَقْـراً يمانيـا
(٧) تركناهُمُ صرْعىٰ كأنَّ ضجيجهم ضجيجُ دبارى النّيب لاقَتْ مُداويا
(٨) أقولُ : وقد أجلتْ عن القومِ عركةٌ ليـبْكِ العقيليـيـنَ مَـنْ كان باكيـا
(٩) فـإنَّ بقُـرَّى سحْبـلٍ لأمـارةً ونضح دمـاءٍ منهمُ ومحابيـا
(١٠) ولم أُتْركْ لي ريبةٍ غيرَ أنني وددتُ معـاذا كان فيمـنُ أتانيـا
(١١) فتصْدقه النفسُ الكذوبُ بسَالتي وبعلـم بالـعشواء أنْ قـد رآنيـا
(١٢) شفيتُ غليلي من خشينةَ بَعْدَما كسوت الهذيـل المشْرفـيَّ اليمانيـا
(١٣) أحقاً ـ عباد الله ـ أنُ لستُ رائيا صحـاري نجدٍ والريـاحَ الذواريـا
(١٤) ولا زائراً شُمَّ العرانيـنِ أنتمي إلى عامـرٍ يَحُلُلْـنَ رمـلاً معاليـا
(١٥) إذا ما أتيت الحارثيات فأنعني لهنَّ وخَبِّرْهُـنَّ أن لا تلاقيـا
(١٦) وقوِّدْ قلوصي في الركاب فإنَّها ستضحكُ مسروراً وتبكـي بواكيـا
(١٧) أوصِّيكُمُ ـ إن متُّ يوماً ـ بعارمٍ ليغنـي شيئـاً أو يكـونَ مكانيـا

❊❊❊

(*) التخريج : الأغاني (الدار) ١٣ : ٤٧ ـ ٤٨. الحماسة (المرزوقي) : ٣٥٦ ـ ٣٥٨ وبعضها في الوحشيات : ٢٣
(١) سحبل : موقع دارت فيه معركة
(٥) بنو القرعاء : من بني عقيل أعداء جعفر
(٧) دباري النيب لاقت مداويا : النوق الجربى، إذا لقيت من يداويها بالكي أو بالقطران
(٨) عركة : شر وهزيمة.
(٩) أمارة : علامة.
(١١) العشواء : مكان
(١٢) خشينة والهذيل : رجلان من عقيل.
(١٤) شم العرانين : النساء الجميلات الأنوف من بني عامر.
(١٦) قود قلوصي : سق ناقتي مع نوق أهلي.
(١٧) عارم : ابن جعفر



أبونواس

(١٤٦ ــ ١٩٨ هـ)

(٧٦٣ ــ ٨١٤ م)

الحسن بن هانىء الحكمي أبونواس أشهر من أن يعرف به، أو أن يشار إلى مصادره، ولذلك تركت ترجمته وأغفلت ذكر مصادره .

ولكني أحب أن أشير إلى نقطتين اثنتين عرفتهما في أبي نواس .

أولاهما : أن الشعر كان أقل بضاعته، فقد كان فقيهاً وعالماً، أراد أن يكون نديماً للخلفاء يقوم سواء، فلما أخفق في تحقيق ما يريد عاش مستهتراً وطلب العزاء في الحياة اللاهية . أليس هو القائل :

سأبغي الغنىٰ إما نديم خليفةٍ يقومُ **سواءً** أو مخيف سبيلِ
بكل فتىً لا يُستطار جنانُهُ إذا نوّه الزحفان باسم قتيلِ
لنخمس مالَ اللهِ منْ كلّ فاجرٍ وذي بطنةٍ للطيبات أكولِ

والظاهر أنه خاف الثورة والقتال، فاكتفى من الدنيا بالخمر والمتعة ووجد فيهما عزاء له عن صحبة الخلفاء وقيادة الثائرين .

ثانيهما : أن أبانواس رغم حياته الظاهرية الحافلة باللهو والمجون والاستهتار يخفي بين ضلوعه نفساً متشائمة وينظر إلى المجتمع والحياة نظرة سوداء .

وحسبك أن أبا العتاهية، وهو أكثر شعراء العربية قولاً في الزهد. شهد لأبي نواس بالتفوق عليه، فكان يقول :

«سبقني أبونواس إلى ثلاثة أبيات وددت أني سبقته إليها بكل ما قلته. فإنه أشعر الناس فيها»، ثم يعود فيقول : «قلت في الزهد ستة عشر ألف بيت، وددت أن أبانواس له ثلثها بهذه الأبيات الثلاثة :

ألا كُلُّ حَيّ هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسبٍ في الهالكين عريقِ
فقُل لقريب الدار إنّك ظاعنٌ إلى منزل نائي المحَلِ سحيقِ
إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ له عنْ عدُوّ في ثياب صديق

ولعل أبانواس كان يتحدى الحياة والمجتمع بمزيد من اللهو والاستهتار، فقد بلغ مرحلة لا سبيل إلى زيادة ما فيها من بؤس وشقاء وخيبة أمل .

وفي اعتقادي أنه الوجه الثاني من التشاؤم الذي يقابل وجه أبي العلاء، فقد تشاءم أبوالعلاء فهجر الحياة وأحجم عن الناس وعن الطيبات حتى جاع أو كاد يجوع وتشاءم أبونواس فأقبل على الحياة فهو لا يكاد يشبع ولا يرتوي.

هاتان هما النقطتان اللتان أحببت أن أشير إليهما قبل أن أورد رثاء أبي نواس لنفسه قبل موته .

أوفى وصف لساعات أبي نواس الأخيرة نجدها في الأغاني ٦ : ١٩٢ وكما ورد في كتاب (بهجة المجالس وأنس المجالس) ٣ : ٣٧٥ ــ ٣٧٦ وجاء فيه :

قال محمد بن إبراهيم الكاتب : دخلنا على أبي نواس نعوده في مرضه الذي مات فيه، ومعنا صالح بن علي الهاشمي، فقال له صالح: تب إلى الله يا أباعلي، فإنك في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وبينك وبين الله هنات.

فقال : أسندوني، فأسندوه فقال :

ــ إياي تخوف بالله ؟ قد حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» أتراني لا أكون منهم ؟ وقد حدثني حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله . فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة .»

....

حدث محمد بن يعقوب البزاز : كنت جاراً لأبي نواس، فعدته في مرضه الذي مات فيه، ودخل عليه طبيب نصراني اسمه سعيد، فنظر إليه ووصف له دواء يعلله به، ثم خرج وخرجت بخروجه، فغمزني وقال : مُرْهم لا يعذبوه بالدواء، فإنه الساعة يموت، فرجعت إليه فقال : سألتك بالله ما قال لك النصراني . فإني رأيته قد غمزك ؟ فقلت : ما عسى أن يقول ؟! فقال : أقسمت عليك لما أخبرتني،

فأخبرته، فرفع عينيه إلى السماء، وسالت دموعه على خديه وقال :

يـــارب إنـــي لـــم أزل فـــي مثـــل حـــال السحـــره
حيـــن استـــلاذوا بعـــرى الديـــن وكـــانـــوا كفـــره
فآمنـــوا يومـــاً ففـــازوا بثـــواب البـــرره
ولـــم أزل مستشـــعـــر الإيـــمـــان يـــا ذا المقـــدره
فاغفـــر فـــإنـــي منـــك أو لـــى منهـــم بالمغفـــرة

أبيات أبي نواس قبيل وفاته

حكايتان ترويان عن أبيات أبي نواس قبيل وفاته
أما الرواية الأولى؛ فجاء فيها :

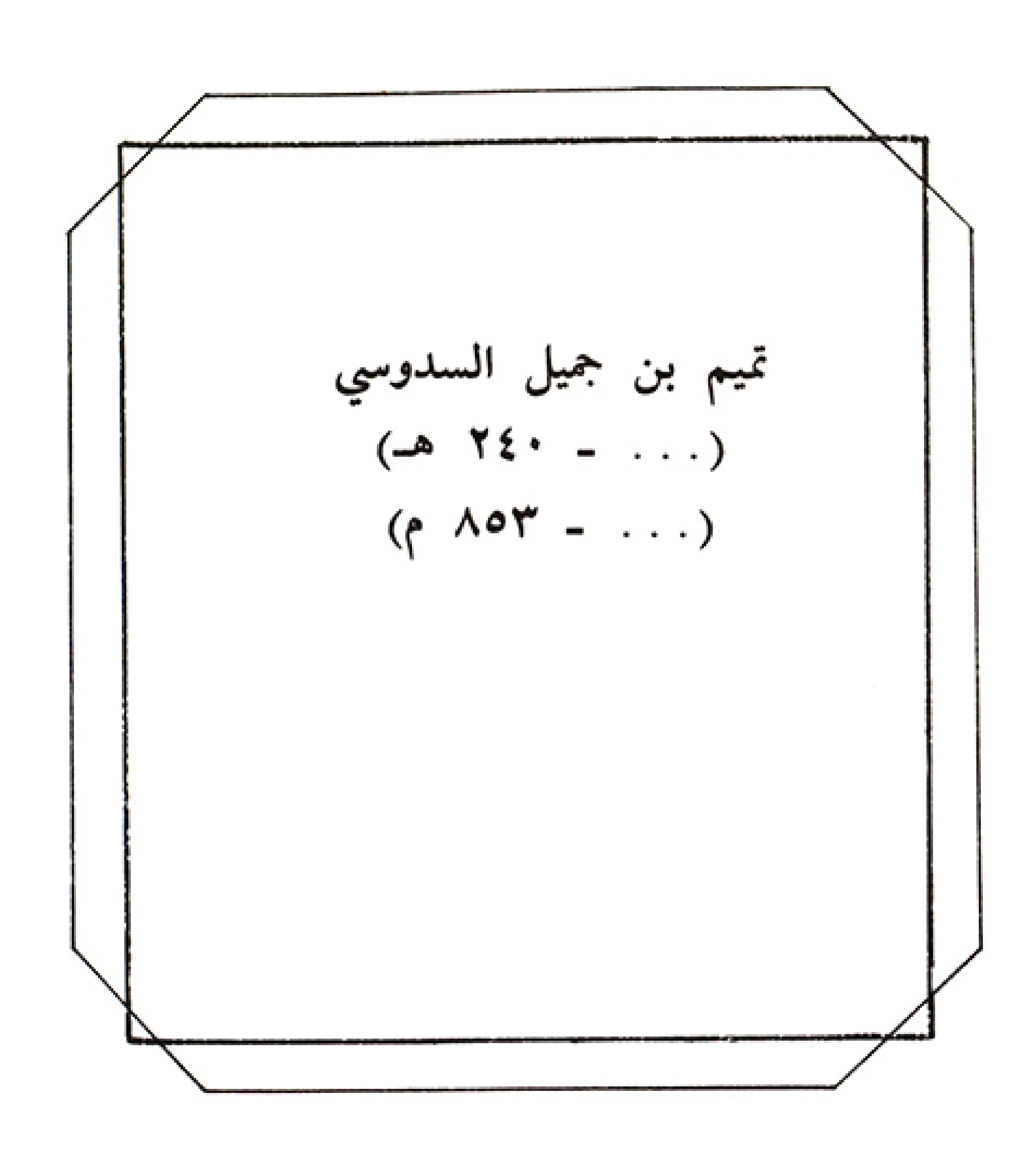
رآه بعض إخوانه بعد موته بأيام في المنام فقال له : ما فعل الله بك! قال : غفر لي بأبيات قلتها، وهي الآن تحت وسادتي، فنظروا وإذا برقعة تحت وسادته في بيته، فيها مكتوب (الأبيات)، وفي هذه الرواية ما فيها من زخرف وتزيين .

أما الرواية الثانية فخالية من الزخرف : قال الرياشي : وجدت تحت الفراش الذي مات عليه أبونواس رقعة مكتوب فيها هذه الأبيات :

١ يـارب إن عظـمت ذنـوبي كثرة فلقـد علـمت بـأن عفـوك أعظـم
٢ إن كان لا يرجـوك إلا مـذنب فبمـــن يلـــوذ ويستـــجير المجرم
٣ أدعـوك رب كما أمـرت تضرعـا فإذا رددت يـدي فمـن ذا يرحـم ؟
٤ مـالي إلـيك وسيلـة إلا الرجـا وجمـيـل عفـوك، ثم إني مسلـم

---

(٢) وروي إلا محسن، ولعل (إلا مذنب) أولى بالتوبة



تميم بن جميل السدوسي

(... - ٢٤٠ هـ)

(... - ٨٥٣ م)

قدم للموت فقال قصيدته يرثي نفسه فنجا من القتل.

* اسمه وحياته:

لانعرف منه غير اسمه واسم قبيلته وأبياته عند تعرضه للقتل في زمن المعتصم، ثم عفو الخليفة عنه، ونجاته من الموت وعودته إلى أهله.

* الخلاف حول الشاعر صاحب الأبيات:

١ ـ جاء في العقد الفريد ٢ : ٢٧ ـ ٢٨ مايلي:

قال أحمد بن أبي دؤاد: مارأينا رجلاً نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل، فإنه كان تغلب على شاطىء الفرات وأوفى به الرسول باب أمير المؤمنين المعتصم في يوم الموكب، حين يجلس للعامة، ودخل عليه، فلما مثل بين يديه دعا بالنطع والسيف، فأحضرا، فجعل تميم بن جميل ينظر إليهما ولا يقول شيئاً، وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه، وكان جسيماً وسيماً، ورأى أن يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره فقال:

ياتميم إن كان لك عذر فأت به، أو حجة فأدل بها.

فقال:

أما وقد أذن لي أمير المؤمنين فإني أقول: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ياأمير المؤمنين؛ إن الذنوب تخرس الألسنة؛ وتصدع الأفئدة، ولقد عظمت الجريرة وكبر الذنب، وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أَوْلاهما بامتنانك، وأشبههما بخلائقك.

ثم أنشأ يقول:

الأبيـــات

قال: فتبسم المعتصم وقال: كاد والله ياتميم أن يسبق السيف العذل، اذهب فقد

غفرت لك الصبوة، وتركتك للصبية.

وأورد ابن عبد ربه تسعة أبيات لتميم:

٢ ـ أما الحصري صاحب زهر الآداب فيوافق ابن عبد ربه في صاحب القصة ويضيف شيئاً من التفاصيل قال: ٢ : ٨٣٩ ـ ٨٤٠ : وكان تميم بن جميل السدوسي قد أقام بشاطىء الفرات واجتمع إليه كثير من الأعراب، فعظم أمره وبعد ذكره؛ فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض إليه، فتبدد جمعه، وظفر به فحمله موثقاً إلى باب المعتصم فقال أحمد بن أبي دواد:

ويورد كلام القاضي بنصه ويضيف:

ثم أمر (المعتصم) بفك قيوده وخلع عليه وعقد له على شاطىء الفرات. وأورد الحصري لتميم سبعة أبيات:

٣ ـ أما ياقوت الحموي فيخالف الحصري وابن عبد ربه في اسم الشاعر وفي اسم الخليفة الذي عفا عنه، معجم البلدان: رحبة مالك بن طوق:

١ ـ الشاعر هو مالك بن طوق.

٢ ـ الخليفة هو هارون الرشيد.

وبعد أن يسرد ياقوت شيئاً من خبر مالك بن طوق وعلاقته بالرشيد يقول: أنفذ إليه (مالك بن طوق) الرشيد يطلب منه مالاً فتعلل عليه بعلة ودافعه عن حمل المال، ثم ثنى الرسول إليه وكذلك راسله ثالثاً، وبلغ هارون الرشيد أنه قد عصى عليه وتحصن فأنفذ إليه الجيوش إلى أن طالت بينهما المحاربة والوقائع ثم ظفر به صاحب الرشيد فحمله مكبلاً بالحديد، فمكث في حبس الرشيد عشرة أيام، لم يسمع منه كلمة واحدة، وكان إذا أراد شيئاً أومأ برأسه ويده، فلما مضت له عشرة أيام جلس الرشيد للناس وأمر بإخراجه فأخرج من الحبس إلى مجلس أمير المؤمنين، والوزراء والحجاب والأمراء بين يدي الرشيد، فلما مثل بين يديه قبل الأرض ثم قام قائماً لايتكلم، ولايقول شيئاً ساعة تامة قال: فدعا الرشيد النطع والسيف وأمر بضرب عنقه، فقال له يحيى (البرمكي): ويلك يامالك لم لاتتكلم؟ فالتفت إلى الرشيد فقال: السلام عليك ياأمير المؤمنين...

ويورد ياقوت مثل كلام ابن عبد ربه والحصري في الاعتذار، ثم أنشأ يقول:

الأبيـــــات

قال: فبكى الرشيد بكاء تبسم ثم قال: لقد سكت على همة، وتكلمت على علم وحكمة، وقد وهبناك للصبية فارجع إلى مالك، ولا تعاود فعالك، فقال سمعاً لأمير المؤمنين وطاعة، ثم انصرف من عنده بالخلع والجوائز.

تلك ثلاث روايات، تتفق اثنتان منها اتفاقاً كاملاً في اسم الشاعر وفي اسم الخليفة، وتختلف الثالثة عنهما اختلافاً مبيناً، فما هو الرأي الصحيح؟..

نحن نرجح، بل نكاد نقطع أن الأبيات لتميم بن جميل، وأن الحادثة جرت في أيام المعتصم وذلك:

١ ـ الروايتان الأولى والثانية متفقتان.

٢ ـ الروايتان توردان الحادثة على لسان شاهد عيان هو القاضي أحمد بن أبي دواد.

٣ ـ في زهر الآداب أن مالك بن طوق هو الذي تولى قتال تميم بن جميل وأسره وحمله موثقاً إلى باب المعتصم.

٤ ـ وأكثر من ذلك أن ابن عبد ربه (٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ) والحصري (... ـ ٤٥٣ هـ) أقرب عهداً لزمن المعتصم من ياقوت الحموي (٥٧٤ ـ ٦٢٦ هـ).

٥ ـ ثم إن الدولة العباسية في عهد الرشيد كانت في أوج قوتها وتماسكها ولم يرد في التاريخ نبأ عصيان قام به مالك بن طوق على الرشيد، فقد ورد ذكره عرضاً في الطبري ٢ : ١١٧ و٩ : ٢٨٧ وورد في الأعلام في ترجمة مالك بن طوق (... ـ ٢٥٩ هـ) (... ـ ٨٧٣ م) مايلي:

مالك بن طوق بن عتاب التغلبي، أبو كلثوم: أمير كان من الأشراف الفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي وبنى بمساعدة الرشيد بلدة «الرحبة» التي على الفرات وتعرف برحبة مالك، نسبة إليه..

٦ ـ نخلص مما تقدم أن ماورد في زهر الآداب وفي العقد الفريد صحيح وأن ماورد في معجم البلدان ليس صحيحاً.

وبقي علينا إن تيسر لنا الأمر أن نجد أخباراً أخرى وافية على حياة تميم بن جميل...

الأبيــــات

قال تميم:

١ ـ أرى الموتَ بين السيف والنِّطعِ كامناً — يلاحظُني من حيثُ ما أتلَفَّتُ
٢ ـ وأكبرُ ظني أنكَ اليومَ قاتلي — وأيُّ امرىءٍ مما قضى الله يُفْلِت؟
٣ ـ وأيُّ امرىءٍ يُدلي بعذرٍ وحجةٍ — وسيفُ المنايا بين عينيه مُصْلَتُ؟
٤ ـ يَعِزُّ على الأوسِ بنِ تغلبَ موقفٌ — يُهَزُّ عليَّ السيفُ فيهِ وأسكتُ
٥ ـ وماجَزعي من أن أموتَ وإنني — لأعلمُ أن الموتَ شيءٌ مُؤَقَّتُ
٦ ـ ولكنَّ خلفي صبيةً قد تركْتُهم — وأكبادُهُمْ من حسرةٍ تَتَفَتَّتُ
٧ ـ كأنّي أراهُمْ حين أُنْعى إليهمُ — وقد خَمَشوا تلكَ الوجوهَ وصَوَّتوا
٨ ـ فإن عشتُ عاشوا خافضينَ بغبطةٍ — أذودُ الردى عنهمْ وإن مِتُّ مُوِّتوا
٩ ـ وكم قائلٍ لايبعدِ الله دارَه — وآخرُ جذلانٌ يُسَرُّ ويَشْمَتُ

* استطـــراد:

في كتاب الأسر والسجن في شعر العرب للدكتور أحمد مختار البزرة تعليق علي أبيات تميم أحببت إيراده ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦ .

وفي مواقف أخرى تستقطب المخاوف والأحزان حول عنصر خارجي وثيق الصلة بعواطف الشاعر، وقد استطاع أحد الشعراء بحديثه أن يحمل نفوس السامعين على التعاطف والتداعي له، وأن يغير خاتمة الموقف الفاجع إلى نجاة قال:

وما جزعي من أن أموت وإنني — لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم — وأكبادهم من حسرة تتفتت

---

(١) البيت (٥) في ياقوت: ومابي خوف.

(٢) البيت (٦) في ياقوت: من خشية.

(٣) البيت (٨) وروي سالمين بدل خافضين.

فـإن عشت عاشـوا سالمـين بغبطة أذود الردى عنهم وإن مت موتوا

والشاعر في هذه الأبيات اعترف بالجزع وإن أنكر خوفه من الموت. وإذا كان الأطفال الصلة فيما بينه وبين الحياة، والقوة الجاذبة. فهو قول جميل فيه الكثير من النبل والإخلاص، ولكن أطفاله ـ في الحق ـ كانوا في قرارة نفسه هم الحياة، فالحياة كلها تتوهج في حبه لأولاده، وتعلقه بهم تعلقه بالبقاء، فكان أولاده رمزاً للحقيقة الخالدة التي هي حب الحياة.

***



الحلاج

الحسين بن منصور

(... ـــ ٣٠٩ هـ)

(... ـــ ٩٢٢ م)

المصادر

١ دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧

٢ تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٧

٣ طبقات الصوفية ٣٠٧

٤ البداية والنهاية ١١ : ١٣٢

٥ تاريخ ابن الأثير٨ : ٣٩

٦ وفيات الأعيان ١ : ١٤٦

٧ تاريخ بغداد ٨ : ١١٢

٨ ماسينيون (أخبار الحلاج)

ومصادر أخرى كثيرة...

إسمه وكنيته :

الحسين بن منصور الحلاج، يكنى أبا المغيث وقيل أبا عبدالله.

حياته :

قال ابنه أحمد بن الحسين بن منصور(*) :
مولد والدي الحسين بن منصور بالبيضاء في موضع يقال له : الطور، ونشأ بتستر... ثم صعد إلى بغداد.. وأول ما سافر من تستر إلى البصرة كان له ثمان عشرة سنة... ثم تزوج والدتي أم الحسين بنت يعقوب الأقطع... ثم خرج إلى مكة وجاور سنة ورجع إلى بغداد... وأخذ والدتي ورجع إلى تستر وأقام نحواً من سنة... ثم خرج وغاب عنا خمس سنين بلغ إلى خراسان وما وراء النهر، ودخل إلى سجستان، وكرمان ثم رجع إلى فارس... ثم صعد من فارس إلى الأهواز وأنفذ من حملني إلى عنده... ثم خرج إلى البصرة وأقام مدة بسيرة، وخلفني بالأهواز عند أصحابه، وخرج ثانياً إلى مكة، ورجع إلى البصرة وأقام شهراً واحداً وجاء إلى الأهواز وحمل والدتي وحمل جماعة من كبار الأهواز إلى بغداد، وأقام في بغداد سنة واحدة ثم قال لبعض أصحابه :

ـ احفظ ولدي أحمد إلى أن أعود أنا فإني قد وقع لي أن أدخل إلى بلاد الشرك وأدعو الخلق إلى الله عز وجل وخرج، فسمعت بخبره أنه قصد إلى الهند ثم قصد خراسان ثانياً ودخل ما وراء النهر وتركستان إلى ماصين، ودعا الخلق إلى الله تعالى... ثم كثرت الأقاويل بعد رجوعه من هذه السفرة فقام وحج ثالثاً وجاور سنتين. ثم رجع وتغير عما كان عليه في الأول، واقتنى العقار ببغداد وبنى داراً...

(*) تاريخ بغداد ٨ : ١١٢...

حديث حجه (*)

دخل الحسين بن منصور إلى مكة، وكان أول دخلته، فجلس في صحن المسجد سنة لا يبرح من موضعه إلا للطهارة أو للطواف، ولا يبالي بالشمس ولا بالمطر، وكان يحمل إليه كل عشية كوز ماء للشرب وقرص من أقراص مكة، فيأخذ القرص ويعض أربع عضات من جوانبه ويشرب شربتين من الماء، شربة قبل الطعام وشربة بعده، ثم يضع القرص على رأس الكوز فيحمل من عنده.

سجنه :

كثرت أقاويل الناس حول الحلاج، فكان يقول قوم : إنه ساحر، وقوم يقولون : مجنون وقوم يقولون : له الكرامات واختلفت الألسن في أمره حتى أخذه السلطان وحبسه...

عقيدة الحلاج :

ما أظن أن أحداً في الإسلام اختلف الناس في عقيدته اختلافاً عجيباً، كما اختلفوا في عقيدة الحلاج. جاء في دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٨ ما يلي :

(وقل بين المسلمين من ثار حوله الجدل، كما ثار حول الحلاج، ذلك أن الرأي العام وضعه موضع التقديس والولاية على الرغم من إجماع القضاة على تكفيره)

وقد انقسم المسلمون في أمره ثلاثة أقسام :

١ ـ قسم يقول بتكفيره

٢ ـ قسم يقول بولايته

٣ ـ قسم ثالث توقف في الحكم عليه

وتسرد دائرة المعارف الإسلامية أسماء عدد كبير من هذه الأقسام الثلاثة ويمكن لمن يريد الإطلاع على هذه الأسماء مراجعتها فيها، وهي تضم رأي الفقهاء والمتكلمين والحكماء والصوفية، وبعض العلماء المعاصرين.

حبسه :

كثرت الوشايات بالحلاج، وانتهى خبره إلى السلطان يعني المقتدر بالله، فلم يقر

(*) تاريخ بغداد : ٨ : ١١٨

بما رمي به من ذلك، وعاتبه وصلبه حياً أياماً متوالية في رحبة الجسر، في كل يوم غدوة، وينادي عليه بما ذكر عنه. ثم ينزل به، ثم يحبس فأقام في الحبس سنين كثيرة (ورد في الموسوعة الإسلامية ٨ : ١٧ : وأمضى ثماني سنوات في سجن بغداد).

قتله وصلبه :

أمر أمير المؤمنين (المقتدر) بتسليمه إلى حامد بن العباس، وأمر أن يكشفه بحضرة القضاة، ويجمع بينه وبين أصحابه، فجرى في ذلك خطوب طوال، ثم استيقن السلطان أمره... ووقف على ما ذكر له عنه، فأمر بقتله وإحراقه بالنار، فأحضر مجلس الشرطة بالجانب الغربي، يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة، فضرب بالسياط نحواً من ألف سوط، وقطعت يداه ورجلاه، وضربت عنقه وحرقت جثته بالنار، ونصب رأسه للناس على سور السجن الجديد، وعلقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه. (تاريخ بغداد ٨ : ١٢٧)

ساعات الحلاج قبل قتله، وموقفه :

لما كان الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين بن منصور قام من الليل، فصلى ماشاء الله. فلما كان آخر الليل قام قائماً فتغطى بكسائه، ومد يده نحو القبلة فتكلم بكلام جائز الحفظ...

ولما حبس الحلاج قيد من كعبه بثلاثة عشر قيداً، وكان يصلي مع ذلك في كل يوم وليلة ألف ركعة، وقطعت أعضاؤه يوم قتل عضوا عضواً وما تغير لونه. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣١)

وقال أحد شهود قتله، كنت أقرب الناس من الحلاج فضرب كذا وكذا سوطاً، وقطعت يداه ورجلاه فما نطق.

وقال شاهد آخر : كنت أقرب الناس من الحلاج حين ضرب، وكان يقول مع كل صوت (ولعلها سوط) أحد أحد. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣١)

وقال خادم الحلاج :

لما كانت الليلة التي وعد من الغد بقتله، قلت له : يا سيدي أوصني. فقال لي : عليك نفسك، إن لم تشغلها شغلتك، قال : فلما كان من الغد وأخرج للقتل قال : حسب الواحد إفراد الواحد له، ثم خرج يتبختر في قيده ويقول :

نَـــديمي غيرُمنســـــوبٍ إلى شيء مـــــنَ الحَيْـــفِ
سَقـــــاني مثلَمــــــا يشرَ بُ فعــلَ الضّيْــفِ بالضَّيْــفِ
فلَمّــــا دارتِ الكــــأسُ دَعــــا بالنّطــــعِ والسيــفِ
كَــذا مــــن يشربُ الـــراحَ مَــعَ التنيــنِ في الصّيْــفِ

أنها الحق [1] ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل (تاريخ بغداد ٨ : ١٣١ ــ ١٣٢).

وقال شاهد ثالث :

آخر كلمة تكلم بها الحسين بن منصور عند قتله وصلبه أن قال : (حسب الواحد إفراد الواحد له) فما سمع بهذه الكلمة أحد من المشايخ إلا رق له واستحسن هذا الكلام منه. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣٢)

وقال شاهد رابع :

لما أدني إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته يقول : يا معين الفنا عليَّ أعني على الفنا. (تاريخ بغداد ٨ : ١٣٠)

وورد في تاريخ بغداد (٨ : ١٣٣)

أمر المقتدر أن يدفع إليه (إلى حامد بن العباس) فقبضه واحتفظ به، وكان يخرجه كل يوم إلى مجلسه، ويتسقطه ليتعلق عليه بشيء يكون سبيلا له إلى قتله. فكان الحلاج لا يزيد على إظهار الشهادتين والتوحيد وشرائع الإسلام...

رأي في أسباب قتل الحلاج :

اعتاد الحكام تغطية جرائمهم في قتل المفكرين بتهمة الإلحاد والزندقة، وأعتقد

(١) الآية : ١٨ السورة : الشورى

أن الحلاج كان من هؤلاء الضحايا. ومن المؤكد أن الحلاج بلغ مرتبة مرموقة بين الناس، وأن الحكام خافوا شهرته فرموه بالزندقة ليتخلصوا منه ثم قتلوه. وفي (تاريخ بغداد ٨ : ١١٢ ـــ ١٤١ ترجمة الحلاج) ولعلها أطول ترجمة له وهي تنبيء بنفوذ الحلاج السياسي والديني، وإليكم هذه الشواهد :

١ ـــ كان الحلاج يسمو إلى أمر عظيم، ويعرف أنه سيقتل أو سيدرك الأمر العظيم. قال : (تاريخ بغداد ٨ : ١١٧)

ولي نفـــسٌ سَتَتْلَـفُ أو سترقـى لعمــرُكَ بِـي إلى أمــرٍ جسيــمِ

٢ ـــ وعندما حج الحلاج دخل مكة ومعه أربعمائة (٤٠٠) رجل. (تاريخ بغداد ٨ : ١٢٥)

٣ ـــ ووقع له (للحلاج) عند الناس قبول عظيم حتى حسده جميع من في وقته. (تاريخ بغداد ٨ : ١١٣)

٤ ـــ لما رجع (من رحلته إلى الهند) كانوا يكاتبونه من الهند بالمغيث، ومن ماصين وتركستان بالمُقيت، ومن خراسان بالمميز، ومن فارس بأبي عبدالله الزاهد، ومن خوزستان، بالشيخ حلاج الأسرار، وكان ببغداد قوم يسمونه المصطلم، وبالبصرة يسمونه المحبر. (تاريخ بغداد ٨ : ١١٣ ـــ ١١٤)

٥ ـــ لما قدم (الحلاج) بغداد استغوى كثيراً من الناس والرؤساء، وكان طمعه في الرافضة أقوى لدخوله فيهم. (تاريخ بغداد ٨ : ١٢٤)

٦ ـــ وأصبح كذلك داعياً للقرامطة في خراسان والأهواز وفارس والهند والتركستان. (دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧)

٧ ـــ وسرعان ما اجتمع حوله تلاميذه الحلاجية عند عودته من مكة إلى بغداد عام ٢٩٦ هـ. (دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧)

٨ ـــ وكانت رعاية شغب أم المقتدر، والحاجب نصر للحلاج سبباً في أن عاداه الوزير حامد (بن العباس) فأمر بقتله. (دائرة المعارف الإسلامية ٨ : ١٧)

٩ ـ التمس حامد بن العباس من المقتدر بالله أن يسلم إليه الحلاج، ومن وجد من دعاته، فدفع عنه نصر الحاجب، وكان يذكر عنه الميل إلى الحلاج (تاريخ بغداد ٨ : ١٣٣)

من هذه الشواهد الدافعة يتبين لنا أن قتل الحلاج كانت له أسباب سياسية (أظنها كانت هي الأسباب الأصلية) إلى جانب بعض الاتهامات الدينية التي لم تثبت. وأعتقد أن الحلاج رجل مسلم مؤمن ذاب في الله، ودعا إلى وحدة الوجود. وأرى أنه قتل وصلب مظلوما، كما قتل وصلب ملايين الناس مظلومين من قبله ومن بعده، وما أصدق قول الجواهري :

لثـورةِ الفكـرِ تاريـخٌ يُذَكِّرُنـا

بـأنّ ألـفَ مسيحٍ دونَـه صُلبـا

ذلك هو الحلاج وتلك حياته وأخبار سجنه وقتله وصلبه في اختصار شديد، وهذا رأيي في أسباب قتله، وهي أسباب اختلطت فيها السياسة والدين، والله أعلم..

قصيدته ومقطوعاته عند قتله

للحلاج مقطوعتان قبل قتله، إحداهما من ثلاثة أبيات وثانيتهما من أربعة أبيات وله قصيدة ثالثة من ثمانية أبيات.

المقطوعة الأولى :

لما أخرج الحسين بن منصور ليقتل أنشد (*) :

(١) طلبتُ المُسْتَقَرّ بكلّ أرضٍ فلـمْ أرَ لي بـأرضٍ مُسْتقـرّا
(٢) وذقتُ من الزمانِ وذاقَ منّي وجـدتُ مذاقَـه حُلـواً ومُـرّاً
(٣) أطعتُ مطامِعِي فاستعبدتْني ولـوْ أنّـي قنعتُ لكـنتُ حُـرّاً

(*) التخريج : تاريخ بغداد ٨ : ١٣٠ والبداية والنهاية : ١١ : ١٣٢ ... وغيرهما...

المقطوعة الثانية :

فلما أخرج للقتل... خرج يتبختر في قيده ويقول(**) :

نـديمي غيـرُ مـنسوبٍ إلى شيء مِـنْ الحَيْـفِ
سقـاني مثلمـا يَشْـرَبُ فعـلَ الضيـفِ بالضيـفِ
فلمـا دارتِ الكـأسُ دعـا بالنّطـعِ والسيـفِ
كـذا مـن يشربُ الـراحَ مَـعَ التنيـنِ في الصّيـف

قصيدة الحلاج

قال الحلاج :

(١) أنعى إليك نفوساً طاح شاهدُها فيما ورا الحيث أو في شاهدِ القِدمِ
(٢) أنعى إليك قلوباً طالما هَطَلَتْ سحائبُ الوحي فيها أبحرَ الحِكَمِ
(٣) أنعى إليك لسانَ الحَقِّ منكَ ومَن أودى وتذكارُه في الوَهْم كالعَدَمِ
(٤) أنعى إليك بياناً يستكينُ له أقوالُ كلِّ فصيحٍ مِقْوَلٍ فَهِمِ
(٥) أنعى إليك إشاراتِ العقولِ معاً لم يبقَ منهنَّ إلا دارسُ العَلَمِ
(٦) أنعى ـ وحقِّكَ ـ أخلاقاً لطائفةٍ كانتْ مطايا هُم مِنْ مُكْمَدِ الكَظَمِ
(٧) مضى الجميعُ فلا عينٌ ولا أثرٌ مضيَّ عادٍ وفقدانَ الأولى إرَمِ
(٨) وخَلَّفوا معشراً يحذون لبستَهُمْ أعمى من البَهمِ بلْ أعمى من النَّعَمِ

تفسير الأبيات بقلم صديق صوفي رفض ذكر اسمه :

١ ـ نعى الحلاج طائفة الصوفية الذين حوربوا في عصره، وكان هو على رأس من حورب وقتل. وقوله طاح شاهدها يريد المكاشف من الصوفية، وهو صاحب الذوق، أو العارف بالله، الذي يرى فناء النفوس سواء أكان ذلك في مجال الحيث(١) أي المكان أو في القدم الخارج عن مجال الحيث.

(**) التخريج : تاريخ بغداد ٨ : ١٣١ ١٣٢ والبداية والنهاية ١١ : ١٣٢ وغيرهما...

(١) لأن النفوس لا تقوم بذاتها، بل بواجب الوجود، فوجود النفوس إضافي.

فالصوفيون يؤمنون بالفناء لأنهم عاشوا مقامه.

٢ ـ كما نعى الحلاج قلوب العارفين، وهم أصحاب العلم اللدني الذين اصطفاهم الله للوحي والمكالمة. فوصف هذه القلوب بالأرض التي هطلت عليها سحائب الوحي والحكم.

٣ ـ يعني بلسان الحق، لسان العارف. وهو هنا الحلاج نفسه الذي صار لسان الحق ما دام الحق قد خصه بالوحي. ويذكرنا هذا بوصفه سبحانه وتعالى لرسوله في قوله :

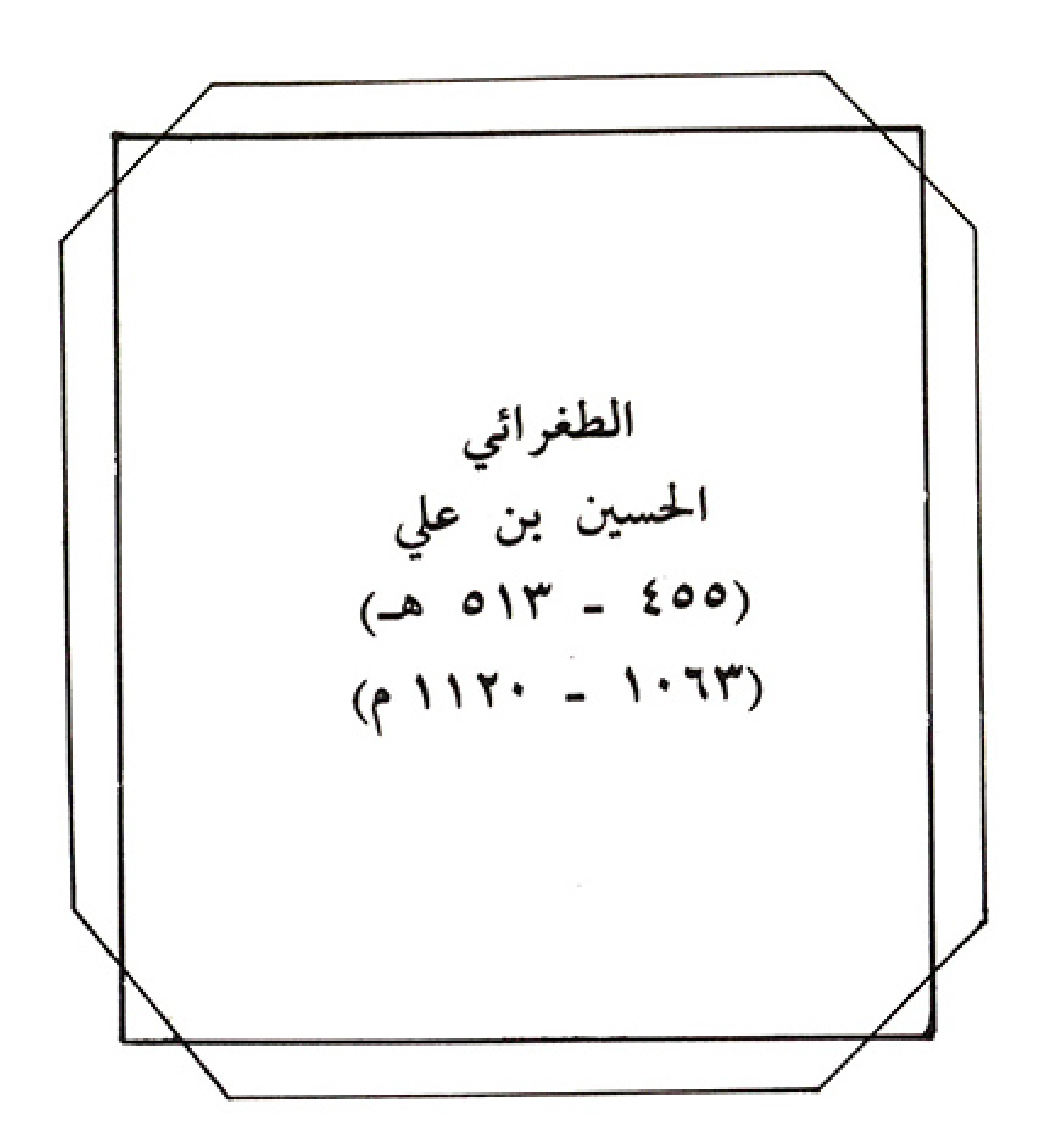
(وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (سورة النجم الآية ٣) وبالحديث القدسي القائل : ما يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته صرت بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به ويده التي يبطش بها...

٤ ـ وفي البيت الرابع وصف لبيان العارف، وواضح أن بيان الأعلام من الصوفية غير ذي مثيل، ويكفي أن نذكر بيان ابن الفارض والغزالي وابن عربي والحلاج نفسه الذي كان له شعر فصيح رفيع يوازي أفكاره الصوفية قيمة وجمالاً.

٥ـ٦ـومضى الحلاج يمدح أخلاق الصوفية الذين وصفهم بإشارات العقول[1]، لما جاؤوا به من علوم ما تزال موضع الحيرة والتجلة حتى عصرنا هذا. والذين لم تبق منهم إلا الهياكل، والذين صدق فيهم قوله تعالى (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) (آل عمران الآية ١٣٤) بعد أن لاقوا من العداء والمحاربة ما لاقوا.

٧ ـ وختم الحلاج قصيدته بوصف الرعاع الذين بغوا في الأرض بغير الحق، فكانوا أعمى من البهم ـــ البهائم ـــ والنعم ـــ الأنعام.

(١) أي العقول المفارقة، أو الأرواح النورية، أو الطبقة الأولى من الأرواح، وتضم الأنبياء والأولياء الصوفية.



الطغرائي

الحسين بن علي

(٤٥٥ - ٥١٣ هـ)

(١٠٦٣ - ١١٢٠ م)

الطغـــــرائي [1]

(٤٥٥ - ٥١٣ هـ) [2]

(١٠٦٣ - ١١٢٠ م)

يرثي نفسه حين أعد السلطان العدة لقتله ثم ينجو ثم يقتل.

* ترجمتـــــه:

هو الحسين بن علي بن عبد الصمد المشهور بالطغرائي، يكنى أبا اسماعيل ويلقب مؤيد الدين، وينعت بالأستاذ، ولد عام ٤٥٥ هـ من أسرة عربية تنسب إلى أبي الأسود الدؤلي، في «جي» من أعمال أصبهان.

والطغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء، وهذه نسبة إلى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن نعوت الملك وألقابه، وهي لفظة أعجمية.

عاش الطغرائي في ظل الدولة السلجوقية، واشتغل في ديوان الإنشاء، وترقى في مناصب الكتابة حتى تولى رئاسة الديوان، ثم عزل عنه في عام ٥٠٥، والظاهر أن عزله أثر في نفسه أثراً كبيراً، وهو الذي كان يطمح إلى أعلى من هذا المنصب، فنظم قصيدته اللامية (لامية العجم) معبراً عن آلامه من العزل وعطله من العمل.

وعاد الطغرائي إلى الديوان وتولى الوزارة في عهد السلطان مسعود بن محمد السلجوقي، ونشبت الحرب بين السلطان مسعود وأخيه السلطان محمود، فانتصر محمود وقبض على الطغرائي، وزير مسعود، قال العماد الكاتب في تاريخ الدول السلجوقية: «فأول من أخذ الأستاذ أبو اسماعيل (الطغرائي) وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميرمي، فقال الشهاب أسعد، وكان طغرائياً في ذلك الوقت؛ نيابة عن النصر الكاتب: هذا الرجل ملحد - يعني الأستاذ - فقال وزير محمود: من يكن ملحداً يقتل، فقتل ظلماً، وقد كانوا خافوا منه

---

(١) اللاميتان إعداد وشرح عبد المعين الملوحي (ف - ق).

(٢) في حياته وموته خلاف فقيل (٤٥٣ - ٥١٥ هـ) وفضلنا تأريخ «الإعلام له».

لفضله فاعتمدوا قتله بهذه الحجة[٣].

* ساعات الطغرائي الأخيرة:

ويروى الصفدي قصة الساعات الأخيرة من حياة الشاعر ويعلق عليها فيقول: «أخبرني العالم العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري بالقاهرة المحروسة أن الطغرائي لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به أن يشد إلى شجرة، وأن يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل به ذلك، وأوقف إنساناً خلف الشجرة من غير أن يشعر به الطغرائي وأمره أن يسمع مايقول، وقال لأرباب السهام، لاترموه إلا إذا أشرت إليكم فوقفوا والسهام في أيديهم مفوفة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحالة:

الأبيـات

* السلطان يطلق سراحه ثم يقتله بدسيسة الوزير:

فرق له السلطان وأمر بإطلاقه، ثم إن الوزير عمل على قتله فيها بعد فقتل.
ولاندري الفترة التي قضاها بين إطلاق سراحه ثم قتله ولعلها لاتعدو أشهراً.

* تعليق الصفدي على الأبيات:

قال الصفدي معلقاً: قلت ماهذا إلا ثبات جنان بل ثبوت جنون، لقد أربى هذا في الثبات والشجاعة وعدم الالتفات إلى الحياة ونفادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى لمحبوبه في السراء والضراء على عنترة العبسي وغيره ممن تبعه من الشعراء حين قال: «ولقد ذكرتك» ولم يورد الصفدي البيتين لشهرتها وهما:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل   مني وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغرك المتبسم

* أبيات الطغرائي قبل قتله:

وردت الأبيات أربعة في كل من تحدث عن قتله دون زيادة ولا نقصان:

١ - ولَقَدْ أَقولُ لمنْ يُسَدِّدُ سَهمه   نحوي وأطرافُ المَنِيَّـةِ شُرَّعُ

(٣) الغيث المسجم في شرح لامته العجم للصفدي (المقدمة).

٢ - والموتُ في لحظاتِ أحورَ طرفُه   دوني، وقلبي دونه يَتَقَطَّعُ

٣ - بالله فَتِّشْ في فؤادي هَلْ يُرى   فيه لغيرِ هَوى الأحِبةِ مَوْضِعُ

٤ - أهْوِنْ بِهِ لَوْ لم يكُنْ في طَيِّهِ   عهدُ الَحبيبِ وسِرُّه المُسْتَوْدَعُ

وهكذا تنتهي حياة شاعر عربي نافست قصيدته (لامية العجم) لامية العرب للشنفرى في شهرتها وتداولها بحجة أنه ملحد، ولم يكن ملحداً، ولكنها مكر الماكرين، وقد مَرَّ معنا في الفصل السابق مؤمن آخر هو الحلاج قتل وصُلب بحجة أنه ملحد.

***

(١) البيت الثالث في الديوان:

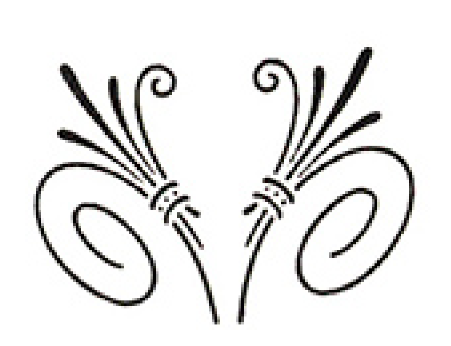
بالله فتش في فؤادي أوّلاً   هل فيه للسهمِ المسَدَدِ موضِعُ



متفرقات

متفرقات

أفرد ابن عبدربه في كتابه (العقد الفريد) الجزء الثالث : ١٧٦ ـــ ١٨١ فصلا تحت عنوان (المراثي : من رثى نفسه ورصف قبره وما يكتب على القبر) وجاء في هذا الفصل ذكر ليزيد بن خذاق، وقد أفردنا له فصلاً في كتابنا، ومالك بن الريب. ومرت ترجمته وقصيدته، وهدبة بن الخشرم العذري. وله فصل خاص، ولذلك لم نذكرهم في فصل المراثي التي وردت في العقد الفريد، ونورد من لم يرد في كتابنا.



أبو ذؤيب الهذلي(*)

(١) أعاذلَ أبقي للملامةِ حَظَّها ... إذا راحَ عَنّي بالجَلِيّةِ عائدي

(٢) فقالوا : تركناهُ تزلزلُ نفسُه ... إذا أسندوني أو كَذا غيرَ سانِدِ

(٣) وقامَ بناتي بالنعالِ حواسراً ... وألصقنَ ضَرْبَ السِّبت تحتَ القلائدِ

(٤) يَودونَ لَوْ يَفدونَني بنفوسِهِم ... ومثنى الأواقي والقيانِ النواهدِ

(٥) وقد أرسلُوا فُرّاطَهُمْ فتأثّلُوا ... قليباً سفاهَا كالإماءِ القواعدِ

(٦) مطأطأةً لم يُنْبِطُوها وإنَّها ... ليرضَى بها فُرّاطُها أمَّ واحدِ

(٧) قَضَوْا ما قَضَوْا مِن رَمِّها ثُمّ أقبلُوا ... إلـيَّ بِطاءَ المشي غُبْرَ السّواعدِ

(٨) يقولونَ لما جَشّتِ البئرُ : أَوْرِدُوا ... وليس بها أدْنى ذُفافٍ لِواردِ

(٩) فكنتُ ذنوبَ البئرِ لما تَبسَّلَتْ ... وسُرْبِلْتُ أكفاني وَوسِّدْتُ ساعدي

(١٠) أعاذلَ لا إهلاكُ ماليَ ضَرّني ... ولا وارِثي ــ إنْ ثُمِّرَ المالُ ــ حامِدي

(*) التخريج وردت في العقد الفريد ٣ : ١٧٧ ثلاثة أبيات من قصيدة أبي ذؤيب هي ٦ و ٧ و ٩ واستدركنا الأبيات كلها من ديوان الهذليين ١ : ١٢١ ــ ١٢٣، والقصيدة ليست في رثاء نفسه ولكنها في رثاء أصدقائه واستطرد فيها إلى ذكر ما سوف يحل به كما حل بهم.

(١) يقول : لومي لوما إذا أردت أن تراجعي كان لملامتك خط لا ينقطع

(٢) إذا أسندوني على الأسناد أو كما أنا جالس الآن دون سند

(٣) قامت بناتي يضربن صدورهن بالنعال ونحورهن. السبت ــ بكسر السين ــ النعال المدبوغة.

(٤) مثنى اللأواقي : أي أواق بعد أواق. والأوقية أربعون درهما. والقيان : ج قينة، الإماء.

(٥) فراطهم : ج فارط المتقدمون منهم. سفاها : ترابها. شبه ما خرج من ترابها ــ وهو أكوام وكتل. بالإماء القواعد. والتأثل : الأتخاذ من تأثل : اتخذ.

(٦) مطأطأة : منخفضة، لم ينبطوها : لم يستخرجوا ماءها. أرادوا أن تضم ميتاً واحداً وإن فيها مكانا لأكثر من ميت.

(٧) الرم : الإصلاح. بطاء المشي : أي مكتئبين حزاناً. غبر السواعد : آثار التراب على أيديهم وسواعدهم.

(٨) جشت البئر : كسحت وأخرج ما فيها. الذفاف : الماء القليل. يقول : ليس بها ماء.

(٩) ذنوب البئر : دلو البئر. تبسلت : كره منظرها، والبسل : الكريه. سربلت أكفاني ووسدت ساعدي، كانت ثيابي أكفاني ووسادتي ساعدي.

(١٠) لم يضرني ما أنفقت من مالي، ولم يحمدني من ورث مالي.

ملاحظة : تذكرنا قصيدة أبي ذؤيب الهذلي بدقتها في أوصاف الموت وأوضاع الميت بقصيدة يزيد بن خذاق ــ فقارن بينهما.

عروة بن خزام

قال عروة بن خزام لما نزل به الموت (*)

(١) منْ كانَ مِنْ أخَواتي باكياً أبداً فاليــومَ، إني أُراني اليــومَ مَقْبُــوضا

(٢) يُسمعنيه فإنِـي غيـرُ سامِعِـهِ إذا علوتُ رقـابَ القــومِ مَعْــروضا

✠✠✠✠✠

الطّرماح

وقال الطِرِمّاح(*)

(١) فيارب لا تجعلْ وَفاتيَ إنْ أتَتْ على شَرْجَـعٍ يُعلى بِدُكـنِ المَطـارِفِ

(٢) ولكن شهيداً ثاوياً في عِصابةٍ يُصابونَ في فَجٍّ مـن الأرضِ خائـفِ

(٣) إذا فارَقُوا دنياهُمُ فارَقوا الأذى وصاروا إلى مَوْعودِ ما في الصحائفِ

(٤) فأقتلَ قَعْصاً ثمّ يُرمَىٰ بأعْظُمي مفرقــةً أوصالُهــا في التنائــفِ

(٥) ويصبحَ قبري بطن طير مَقيلُهُ بِجَوّ السّمـاءِ فِـي نُسورٍ عواكـفِ

✠✠✠✠✠

(*) التخريج : العقد الفريد ٣ : ١٧٧

(١) أراني اليوم ميتاً فمن كانت باكية علي فلتبكني هذا اليوم.

(٢) لأني أسمع الآن بكاءها، أما بعد الموت إذا كنت على النعش فلا أسمعها.

(*) التخريج : العقد الفريد ٣ : ١٧٧ والديوان : ٣٣٦

(١) الشرجع : النعش. يعلى بدكن المطارف : يلف بالأغطية الداكنة.

(٢) خائف : مخوف. اسم الفاعل ناب مناب اسم المفعول.

(٣) إذا قتلوا مضوا إلى الجنان التي وعدهم بها القرآن.

(٤) قعصاً : طعنا بالرماح وضربا بالسيوف. التنائف : جمع تنوفة : الصحراء.

(٥) مقيله : مكانه بين النسور. وفي العقد لحمي وأصلحناه من الديوان : قبري.

ملاحظة : ليست أبيات الطرماح من شرط كتابنا في الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت، والقصيدة نظمها الطرماح في حياته وعاش بعدها طويلا.

محمد بن يسير الرباشي

وقال محمد بن يسير(*)

(١) ويلٌ لِمَنْ لم يرحمِ اللهُ ومَنْ تكونُ النارُ مثواهُ

(٢) والويلُ لي مِنْ كُلِّ يومٍ أتىٰ يُذْكِرُني الموتُ وأنساهُ

(٣) من طالَ في الدنيا به عمره وعاش فالموت قصاراه

(٤) كأنَّه قد قيلَ في مَجْلِسٍ قد كنتُ آتيهِ وأغشاهُ

(٥) صار اليَسيريُّ إلى رَبِّه يَرْحَمُنَا اللهُ وإياهُ

❀❀❀❀❀

أبو العتاهية(*)

ولما حضرت أبا عتاهية الوفاة، واسمه إسماعيل بن القاسم، أوصى بأن تكتب على قبره هذه الأبيات الأربعة :

(١) أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعي اِسمَعي ثُمَّ عِي وعِي

(*) التخريج : البيان والتبيين ٣ : ١٧٢ — ١٧٣ وتاج العروس مادة (يسر) وفيه : أبوجعفر بن يسير البصري وهو القائل يرثي نفسه. وفي العقد الفريد ٣ : ١٧٩ محمد بن بشير، ولعله تصحيف. ولم يذكر صاحب العقد من هو : أهو :

(١) محمد بن بشير الخارجي

(٢) محمد بن بشير العدواني

(٣) محمد بن يسير الرياشي وفيه التصحيف.

ولم نجد هذه الأبيات في ديوان محمد بن بشير الخارجي جمع : محمد خير البقاعي : دار قتيبة ١٩٨٥ والنسبة واضحة في البيان وتاج العروس لمحمد ابن يسير الرياشي البصري وعليها اعتمدنا.

(٢) في البيان : يا حسرتي في كل يوم مضى

(٣) ورد في البيان.

(٥) وروي : محمد صار إلى ربه.

(*) التخريج : العقد الفريد : ٣ : ١٨٠.

وأبو العتاهية (١٣٠ — ٢١١ هـ) و (٧٤٨ — ٨٢٦ م) إسماعيل بن القاسم. شاعر مكثر عباسي نشأ في الكوفة وسكن بغداد ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم (الأعلام).

(٢) أنا رهنٌ بمضجعي فاحذري مثلَ مَصْرَعي

(٣) عشتُ تسعينَ حِجَّةً ثُمَّ وافيتُ مَضْجَعي

(٤) ليسَ شيء سوى التقى فَخُذِي مِنْهُ أَوْ دَعي

وعارضه بعض الشعراء في هذه الأبيات وأوصى بأن تكتب على قبره فكتبت وهي :

(١) أصبحَ القبرُ مَضْجَعي وَمَحلّي ومَوْضِعي

(٢) صَرَعتني الحتوفُ في الـتربِ يا ذُلَّ مَصْرَعي

(٣) أَيْنَ إخوانيَ الذيـنَ إليهِمْ تَطَلُّعي

(٤) مِتُّ وَحْدي فلَمْ يَمُتْ واحدٌ منهمُ مَعي

❦❦❦❦❦

على قبر جارية

جاء في العقد الفريد (٥)

وجد على قبر جارية إلى جنب قبر أبي نواس ثلاثة أبيات، فقيل إنها من قول أبي نواس وهي :

(١) أقولُ لقبرٍ زرتُه متلثّماً سَقى اللهُ بردَ العَفْوِ صاحبةَ القَبْرِ

(٢) لَقَدْ غَيّبوا تحتَ الثرىٰ قمرَ الدُّجى وشمسَ الضُّحى بينَ الصفائحِ والعَفْرِ

(٣) عجبتُ لعينٍ بَعدها مَلّت البُكا وقلبٍ عليها يَرْتَجي راحةَ الصّبرِ

❦❦❦❦❦

---

(٥) التخريج : العقد الفريد ٣ : ١٨٠

(٢) العفر : التراب.

على قبر في الحيرة

جاء في العقد الفريد(*)

قال الأصمعي : أخذ بيدي يحيى بن خالد بن برمك، فأوقفني على قبر في الحيرة فإذا عليه مكتوب :

(١) إنّ بني المنذرِ لَمّا انقَضَوا بحيثُ شادَ البيعةَ الراهبُ

(٢) تَنْفَحُ بالمسكِ مَحاريبُهمْ وعنبرٍ يَقْطُبُهُ قاطبُ

(٣) والخُبز واللّحمُ لهمْ راهنٌ وقهوةٌ راووقها ساكِبُ

(٤) والقطنُ والكتّانُ أثوابُهم لم يجلبِ الصوفَ لهُمْ جالبُ

(٥) فاصْبَحوا قُوتا لدودِ الثّرىٰ والدهرُ لا يَبْقىٰ له صاحِبُ

(٦) كأنما حياتهُمْ لعبةٌ سرى إلى بين بها راكب

على بعض القبور

جاء في العقد الفريد(*)

قال الشيباني : وجد مكتوبا على بعض القبور :

(١) مَلّ الأحبةُ زَورتي فجفيتُ وسكنتُ في دارِ البِلىٰ فَنُسيتُ

(٢) الحَيُّ يكذِبُ لا صديقَ لِمَيّتٍ لو كانَ يصدقُ ماتَ حينَ يموتُ

(٣) يا مؤنسا سَكَنَ الثّرىٰ وبقيتُ لو كنتُ أصدُقُ إذ بليتَ بليتُ

(٤) لو كانَ يعمىٰ للبكاء مُفجّعٌ مِنْ طولِ ما أبكي عَليكَ عَميتُ

(*) التخريج : العقد الفريد ٣ : ١٨١

(٢) يقطبه : يقطعه ويجمعه.

(٦) بين : قال أبو حاتم : بين : موضع من الحيرة على ثلاث ليال.

(*) التخريج : العقد الفريد ٣ : ١٨١.

(٣) يظهر أن قائل هذه الأبيات يرثي صديقه مؤنسا كما ورد في هذا البيت.

ملاحظة : ربما كان ما كتب على القبور ليس من نظم أصحابها، وإنما هي من نظم إخوانهم وأصدقائهم في رثائهم.

محمد بن عبدالله

جاء في العقد الفريد(*)

وقال محمد بن عبدالله :

(١) وعَمّا قليلٍ لـنْ تَـرى باكيـاً لنـا   سيضحكُ مَنْ يبكي ويعرِضُ عنْ ذكري

(٢) ترىٰ صاحبي يبكي قليلاً لفُرقَتي   ويضحكُ مِنْ طولِ الليـالي على قبري

(٣) ويُحْدِثُ إخواناً ويَـنسىٰ مَـوَدَّتي   وتَشْغَلُهُ الأحبابُ عَنّي وعَـنْ ذِكـري

❀❀❀❀❀

(*) التخريج : العقد الفريد : ٣ : ١٨١.

(١) في المطبوعة أن ترى وأصلحناها.

(٢) يحدث : يجدد.

هو محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وكان يلقب «المهدي» و«النفس الزكية». خرج على العباسيين وقتل في عهد أبي جعفر المنصور. هو وأخوه إبراهيم. وانظر أخبارهما في الطبري وفي مصارع الطالبيين.

امرؤ القيس

قال امرؤ القيس بعد مقتل أبيه، يذكر ما سيصير إليه(ه) :

(١) أرانـا مُوضِعِيـنَ لأمـرِ غـيبٍ ونُسْحَـرُ بالطّعـامِ وبـالشّرابِ
(٢) عصافيـرٌ وذِبّـانٌ ودودٌ وأجرأُ مـن مُجَلَّحَـةِ الذّئـابِ
(٣) فبعضَ اللـومِ عاذلتي فـإني ستكفينـي التجـارِبُ وانـتسابي
(٤) إلى عِرْق الثرى وَشَجَتْ عُروقي وهـذا الموتُ يَسْلبنـي شبـابي
(٥) ونفسيَ سوفَ يَسلبني وجُرمي فَيُلْحِقُنـي وشيكـاً بالتـرابِ

ويروى لإمرىء القيس، وهو في أنقرة عند قبر فتاة من بنات الملوك، وقد أحسَّ السم أنه قال(ه) :

(١) أجارَتَنـا إن الخطـوبَ تنـوبُ وإني مقيـمٌ مـا أقـامَ عَسيبُ
(٢) أجارَتنا إنّـا غريبـانِ هـا هُنـا وكـلُّ غـريبٍ للغـريبِ نسيبُ
(٣) فـإن تَصِلينـا، فالقرابـةُ بَيْننـا وإن تَصْرِمينـا فالقـريبُ غـريب

✾✾✾✾✾

(ه) التخريج : الديوان : ٢٨.
امرُؤ القيس : أشهر من أن يعرف به.
(١) موضعين : سائرين.
(٢) مجلحة الذئاب : المصممة، يعني أننا على ضعفنا أشد جرأة من الذئاب.
(٤) إلى عرق الثرى : إلى تراب الأرض. وشجت : اتصلت وتغلغلت.
(٥) وشيكا : سريعا.

(ه) التخريج : الديوان : ٣٤.
(١) عسيب : إسم جبل.
(٢) يعني أن القرابة نسب.
(٣) يعني أنه لا غربة مع الوصل. ولا قرابة مع الهجر.

ملاحظات

على (المتفرقات) في الكتاب

ليس من شرط الكتاب إلا ذكر الشعراء الذين اشتهروا برثاء أنفسهم قبل الموت، ومع ذلك :

أ ـ توسعت فذكرت بعض الشعراء الذين نظموا أبياتاً في حياتهم أو قبيل موتهم وإن كانوا غير مشهورين برثاء أنفسهم مثل امرىء القيس وأبي نواس ومحمد بن يسير وصريم بن معشر...

ب ـ أوردت بعض ما كتب على القبور ممن أوصى بكتابة أبياته على قبره بعد موته. كأبي العتاهية، أو ممن رثاهم أصدقاؤهم بعد موتهم وكتبوا رثاءهم لهم على قبورهم، وهذا الباب طويل لا ينتهي فاكتفيت بما ورد في العقد الفريد.

ج ـ تركت الشعراء المشهورين الذين أوردهم صاحب العقد والذين رثوا أنفسهم قبل موتهم مثل يزيد بن خذاق، ومالك بن الريب وهدبة بن الخشرم، لأني ذكرتهم في فصول خاصة بهم.

عبدالمعين الملوحي

الفهـــرس

صفحـــة

